سقتني حميّا الحب [الطويل]

التائية الكبرى المسماة بنظم السلوك

سَقَتْني حُمَيّا الحُبّ راحةُ مُقلَتي ... وكأسي مُحَيّا مَن عنِ الحُسنِ جَلّتِ[4]

فأوهمْتُ صَحبي أنّ شُرْبَ شَرابِهِم ... بِهِ سُرُّ سِرّي، في انتِشائي بِنَظْرَةِ

وبالحَدَقِ استغنَيْتُ عن قَدَحي، ومِن ... شَمائِلِها، لا من شَموليَ، نَشوتي[5]

ففي حان سكري، حانَ شُكري لفتيةٍ ... بهِمْ تمّ لي كَتْمُ الهوى مع شُهْرَتي

ولمّا انقضَى صَحْوي، تقاضَيْتُ وصْلَها ... ولمْ يغْشَني، في بسْطِها، قبض خُشيتي

---

(1) **جماحاً**: امتناعاً. **انتزاحاً**: بعداً.

(2) **عزة الثانية**: اسم امرأة. **طيبة**: اسم للمدينة المنورة.

(3) **السريرة**: باطن الأمر.

(4) **الحميا**: سورة الخمر. **جلت**: تنزهت وعلت.

(5) **شمولي**: الشمول: الخمر التي تبرد بريح الشمال. **نشوتي**: لذة سكري.

وأبْثَثْتُها ما بي، ولَمْ يكُ حاضِري رَقِيبٌ لها، حاظٍ لخَلْوَةِ جَلْوَتي[1]

وقُلْتُ، وحالي بالصَّبابَةِ شاهِدٌ ووجدي بها ماحِيَّ، والفَقدُ مُثبتي[2]

هَبي، قبلَ يُفني الحُبُّ مِنّي بقِيّةً أراكِ بها، لي نظرةَ المتَلَفّتِ[3]

ومِنّي على سَمعي بلَنْ، إن مَنَعْتِ أن أراكِ، فمِن قَبلي، لغَيريَ، لَذّتِ[4]

فعِنْدي، لسُكْري، فاقَةٌ لإفاقَةٍ لها كبِدي، لولا الهوى، لم تُفتَّتِ[5]

ولوْ أنّ ما بي بالجِبالِ، وكانَ طُو رُ سِينا بها، قبلَ التجلّي، لدُكّتِ[6]

هوًى، عَبْرَةٌ نَمّتْ به، وجَوًى نَمَتْ به حُرَقٌ، أدْوَاؤها بيَ أوْدَتِ[7]

فطوفانُ نوح، عند نَوْحي، كأدْمُعي وإيقادُ نيرانِ الخليلِ كَلَوْعَتي[8]

ولَوْلا زفيري أغْرَقَتْني أدمُعي ولَوْلا دُموعي أحرَقَتْنيَ زَفْرَتي[9]

وحُزْنيَ، ما يعقُوبُ بَثَّ أقلَّهُ وكُلُّ بِلى أيّوبَ بعضُ بَلِيّتي[10]

وآخِرُ ما لاقى الأُلى عشِقوا، إلى الـ رّدى، بعضُ ما لاقيتُ، أوّلَ محنَتي[11]

---

(1) **أبثثتها**: شكوت إليها. **الجلوة**: من جلا العروس إذا أظهرها لزوجها.

(2) **ماحي**: من محا يمحو ويمحي.

(3) **هبي**: من الهبة. **قبل يفني**: قبل أن يفني.

(4) **لن**: يريد لن تراني.

(5) **الفاقة**: الفقر والحاجة. **إفاقة**: صحو.

(6) **طور سينا**: جبل الطور الذي كلم الله عنده موسى. **التجلي**: ظهور الحق عند جبل الطور هنا. **دكت**: تهدمت.

(7) **أودت**: أهلكت. **نمت**: وشت. **والثانية**: زادت. **الأدواء**: الأمراض.

(8) **الخليل**: سيدنا إبراهيم.

(9) **الزفير**: عكس الشهيق.

(10) **بث**: شكا وأظهر. **البلى**: الرثاثة. **بليتي**: مصيبتي.

(11) **المحنة**: ما يمتحن به الإنسان من البلاء.

فَلَوْ سَمِعَتْ أذنُ الدّلِيلِ تأوُّهي لآلامِ أسْقامٍ، بجِسْمي، أضَرّتِ[1]

لأذكَرَهُ كَرْبي أذى عَيْشِ أزْمَةٍ بمُنْقَطِعي رَكْبٍ، إذا العيسُ زُمّتِ[2]

وقد بَرّحَ التّبْريحُ بي، وأبادني وأبدى الضنَى مِنّي خفيَّ حَقِيقتي[3]

فنادَمتُ، في سُكري، النحولَ مُراقبي بِجُمْلَةِ أسراري، وتَفصيلِ سيرتي[4]

ظَهَرْتُ لهُ وصفاً، وذاتي، بحيثُ لا يراها، لِبلوى، من جَوى الحُبّ، أبلتِ[5]

فأبدَت، ولم ينطِق لِساني لِسَمْعِهِ هواجِسُ نَفسي سِرَّ ما عنهُ أخفَتِ[6]

وظلّتْ، لِفِكري، أُذْنُهُ خَلَداً بها يدورُ بهِ، عن رؤيَةِ العينِ أغنَتِ[7]

فأخبَرَ مَن في الحيّ عَنّيَ، ظاهراً بباطِنِ أمري، وَهُوَ من أهلِ خُبرَتي[8]

كأنّ الكِرَامَ الكاتبينَ تَنَزّلوا على قلبِهِ وَحياً، بِما في صحيفَتي[9]

وما كان يدري ما أُجِنُّ، وما الذي حَشايَ من السّرّ المَصُونِ، أكنّتِ[10]

وكشْفُ حِجابِ الجسْمِ أبرَزَ سِرّ ما به كان مستوراً له، من سريرتي

فكُنتُ بسِرّي عنهُ في خُفْيَةٍ، وقد خَفَتْهُ، لِوَهْنٍ، من نحولي أنّتي

---

(1) **أضرت**: أصابت بالضرر.

(2) **الكرب**: الضيق والشدة. **والأزمة**: الشدة. **العيس**: النوق. **زمت**: ألقيت عليها الأزمة من أجل الرحيل.

(3) **التبريح**: الإجهاد والشدة، وبرح منه. **أباد**: أهلك. **أبدى**: أظهر. **الضنى**: السقم.

(4) **النحول**: الهزال. **سيرتي**: مسلكي بين الناس، ومذهبي.

(5) **البلوى**: المصيبة. **أبلت**: أنزلت البلاء والبلية.

(6) **الهواجس**: جمع هاجس؛ لما توسوس به النفس ويدور فيها.

(7) **الخلد**: الخاطر.

(8) **الخبرة**: الاختبار.

(9) **الصحيفة**: القرطاس والكتاب.

(10) **أجن**: ستر وأخفى. **أكن**: ستر، من الكن.

فأظهَرَني سُقْمٌ بِه، كنْتُ خافِياً ... لـهُ، والـهـوى يـأتـي بِـكُـلِّ غـريـبـةِ

وأفـرَطَ بـي ضُـرّ، تـلاشَـتْ لِـمَـسّهِ ... أحاديثُ نَفسٍ، بالمَدامِعِ نُمّتِ[1]

فَلوْ هَمّ مكروهُ الرّدى بي لَما دَرى ... مكاني، ومن إخفاء حُبّكِ خُفيَتي[2]

وما بينَ شوقٍ واشتياقٍ فَنِيتُ في ... تَـوَلٍّ بِـحَـظـرٍ، أو تَـجَـلٍّ بِـحَـضْـرَةِ

فـلـو، لِـفَـنـائـي مـن فِـنـائـكِ رُدّ لـي ... فـؤاديَ، لـم يـرغَـبْ إلـى دارِ غُـرْبَـةِ

وعُـنـوانُ شـأنـي مـا أبُـثّـكِ بـعـضَـهُ ... ومـا تـحـتَـهُ، إظـهـارُهُ فـوقَ قُـدرتـي

وأُمسِكُ، عَجْزاً، عن أُمورٍ كثيرَةٍ ... بنُطْقِيَ لن تُحصى، ولو قُلتُ قَلّتِ

شفائي أشفى بل قَضى الوَجْدُ أن قَضى ... وبَـرْدُ غـلـيـلـي واجـدٌ حَـرّ غُـلّـتـي[3]

وبـالـيَ أبْـلـى مِـن ثـيـابِ تَـجَـلُّـدي ... بِهِ الذّاتُ، في الأعدامِ، نِيطَتْ بلَذّةِ[4]

فـلـو كـشَـفَ الـعُـوّادُ بي، وتـحـقّـقـوا ... منَ اللّوْحِ، ما مِنّي الصّبابةُ أبقَتِ[5]

لما شاهَدَتْ مِنّي بصائِرُهُم سِوى ... تَـخَـلّـلِ روحٍ، بـيـنَ أثـوابِ مَـيّـتِ[6]

ومُنذُ عفا رسمي وهِمْتُ، وهَمْتُ في ... وُجودي، فلم تَظفَرْ بكَوْنيَ فكرَتي[7]

وبعدُ، فحالي فيكِ قامتْ بنَفسِها ... وبَيّنَتي فـي سَبْقِ روحي بَنيّتي[8]

---

(1) **أفرط**: تجاوز الحد. **نمت**: من النميمة؛ مبني للمجهول.
(2) **هم بالشيء**: إذا عزم على القيام بأمره أو تناوله. **الخفية**: الاختفاء.
(3) **أشفى**: ذهب شفاؤه. **الغليل والغلة واحد**: شدة العطش.
(4) **بالي**: خاطري. **تجلدي**: تصبري. **الأعدام**: جمع عدم بضمتين للفقر والحرمان. **نيطت**: تعلقت.
(5) **اللوح**: ما يلوح ويبدو من منظر.
(6) **البصائر**: جمع بصيرة؛ ما يكون من تعمق نظر العقل. **التخلل**: النفاذ.
(7) **عفا الرسم**: انمحى ودرس. **الرسم**: ما يلوح من المنظر. **كوني**: وجودي.
(8) **البينة**: الدليل القاطع. **البنية**: البنية والجسد والبناء.

ولم أحكِ، في حُبّيكِ، حالي تبرّماً ... بها لاضطِراب، بل لتَنفيسِ كُرْبَتي[1]

ويَحْسُنُ إظهارُ التجلّدِ للعِدى ... ويقبُحُ غيرُ العَجزِ عندَ الأحِبّةِ

ويمنَعُني شكوايَ حُسْنُ تَصبّري ... ولو أشكُ للأعداء ما بي لأشكَتِ[2]

وعُقبى اصطِباري، في هَواكِ، حمِيدَةٌ ... عليكِ، ولكن عنكِ غيرُ حميدةِ[3]

وما حَلّ بي من مِحنَةٍ، فَهْو مِنْحَةٌ ... وقدْ سَلِمَتْ، من حَلّ عَقدٍ، عزيمتي[4]

وكلُّ أذًى في الحبّ مِنكِ، إذا بَدا ... جَعلتُ لَهُ شُكري مكانَ شكيّتي[5]

نَعَمْ وتَباريحُ الصّبابَةِ، إنْ عَدَتْ ... عليّ، منَ النّعماءِ، في الحبّ عُدّتِ[6]

ومِنكِ شقائي بل بَلائيَ مِنّةٌ ... وفيك لِباسُ البؤسِ أسبَغُ نِعْمَةِ[7]

أرانِيَ ما أُولِيتُهُ خيرَ قِنْيَةٍ ... قديمُ وَلائي فيكِ من شرّ فِتْيَةِ[8]

فلاحٍ وواشٍ: ذاكَ يُهدي لِعِزّةٍ ... ضَلالاً، وذا بي ظَلّ يَهْذي لِغِرّةِ[9]

أُخالِفُ ذا، في لومِهِ، عن تُقًى، كما ... أخالِفُ ذا، في لؤمِهِ، عن تَقيّةِ[10]

وما ردّ وجهي عن سبيلِكِ هولُ ما ... لقيتُ، ولا ضرّاءُ في ذاكَ، مسّتِ[11]

---

(1) **حبيك**: حبي لك. **التبرم**: الضجر. **تنفيس الكربة**: التعزي والتسلي.

(2) **أشكى**: أزال الشكاية.

(3) **صبر عليه**: إذا احتمل أذيته.

(4) **العزيمة**: الإرادة المؤكدة.

(5) **الشكية**: الشكوى.

(6) **عدت علي**: اعتدت. **النعماء**: النعمة.

(7) **أسبغ**: تفضيل من ثوب سابغ أي طويل يستوعب الجسم.

(8) **أوليته**: أعطيته. **القنية**: ما يقتنيه المرء.

(9) **الغرة**: الغفلة.

(10) **التقية**: الكتمان من خوف أو الحذر من شيء يُحْذَر منه.

(11) **الضراء**: الضرر في المال أصلاً، وهنا الضرر مطلقاً.

ولا حِلْمَ لي في حمْلِ ما فيكِ نالَني ... يُؤدّي لحَمدي، أوْ لمَدحِ موَدّتي[1]

قضى حُسنُكِ الداعي إليكِ احتمال ما ... قصَصْتُ، وأقصى بَعدَ ما بعدَ قصّتي[2]

وما هو إلا أن ظَهَرْتِ لِناظِري ... بأكْمَلِ أوصافٍ، على الحسْن أرْبتِ[3]

فحلّيْتِ لي البَلْوى، فخلّيْتِ بينَها ... وَبَيْني، فكانتْ منكِ أجمَلَ حِليَة[4]

ومَن يتَحَرّشْ بالجمالِ إلى الرّدى ... رأى نَفسَه، من أنفَس العيش، رُدّتِ

ونفسٌ ترى في الحُبّ أن لا ترى عنّا ... متى ما تَصَدّتْ للصّبابَةِ صُدّتِ

وما ظَفِرَتْ، بالوُدّ، روحُ مُراحَةٌ ... ولا بالوَلا نَفْسٌ، صفا العيشِ، وَدّتِ

وأين الصّفا، هيْهاتِ من عَيشِ عاشقٍ ... وجَنّةُ عَدْنٍ، بالمَكارِهِ، حُفّتِ

ولي نفسُ حُرّ، لَوْ بَذَلْتِ لها، على ... تَسَلّيكِ، ما فوْقَ المُنى ما تسلّتِ[5]

ولو أُبْعِدَتْ بالصّدّ والهجْرِ والقِلى ... وقَطْعِ الرّجا، عن خُلّتي، ما تخَلّتِ[6]

وعن مذهَبي، في الحبّ مالي مذهَبٌ ... وإنْ مِلْتُ يوماً عنهُ فارَقتُ مِلّتي

ولو خَطَرَتْ لي، في سِواكِ، إرادةٌ ... على خاطري، سَهواً، قضيتُ بِرِدَّتي

لكِ الحُكمُ في أمري، فما شئتِ فاصْنعي ... فلم تَكُ، إلاّ فيكِ لا عنكِ، رَغبَتي

ومُحْكَمِ عهدٍ، لم يُخامِرْهُ بيننا ... تَخَيّلُ نَسْخٍ، وهْوَ خيرُ ألِيّة[7]

---

(1) **الحلم**: طول الأناة والصبر.
(2) **أقصى**: أبعد.
(3) **أربى**: زاد.
(4) **حليت**: جعلتها حلوة. **الحلية**: ما يتزين به من الجواهر والذهب.
(5) **تسليك**: التسلي عنك؛ نسيانك.
(6) **الخلة**، بالضم: الحبيبة.
(7) **العهد المحكم**: الميثاق المتين. **خامر**: خالط. **الألية**: القسم.

وأخذِكِ ميثاقَ الوَلا حيثُ لم أبِنْ ... بِمَظْهَرِ لَبسِ النفس، في فَيْءِ طينتي (1)

وسابِقِ عَهدٍ لم يَحُلْ مُذْ عَهِدْتُهُ ... ولاحِقِ عَقدٍ، جَلّ عن حَلّ فترَة (2)

وَمَطْلِعِ أنوارٍ بطلعتِكِ، الّتي ... لِبَهْجَتِها، كلُّ البُدورِ استسَرّتِ (3)

ووصْفِ كمالٍ فيكِ، أحسنُ صورةٍ ... وأقوَمُها، في الخَلقِ، منهُ استمدّتِ

ونَعْتِ جَلالٍ منك، يعذُبُ دونَهُ ... عذابي، وتحلو، عِندَهُ، ليَ قِتْلَتي

وسِرِّ جَمالٍ، عنكِ كُلّ مَلاحَةٍ ... بهِ ظَهَرَتْ، في العالمِين، وتمّتِ

وحُسْنٍ بهِ تُسبى النُّهَى دَلّني على ... هَوًى، حَسُنتْ فيهِ، لِعزكِ، ذِلّتي (4)

ومعْنًى، وراءَ الحُسنِ، فيكِ شهِدتُه ... به دَقّ عن إدراكِ عَينِ بَصيرَتي

لأنتِ مُنى قلبي، وغايَةُ بُغْيَتي ... وأقصى مُرادي، واختياري، وخِيرتي

خلعْتُ عِذاريَ، واعتِذاري لابسَ الـ ... خَلاعةِ، مسروراً بِخَلعي وَخِلعَتي (5)

وخَلعُ عِذاري فيكِ فَرْضي، وإن أبى اقـ ... تِرابيَ قَوْمي، والخلاعَةُ سُنّتي (6)

وليسوا بقَومي ما استعابوا تَهتُّكي ... فأبدَوا قِلًى، واستحسنوا فيكِ جفوتي (7)

وأهليَ، في دين الهوى، أهلُهُ، وقد ... رضُوا ليَ عاري، واستطابوا فضيحتي

فمن شاءَ فليغضَب، سِواكِ، ولا أذًى ... إذا رضِيَتْ عنّي كِرامُ عشيرَتي

وإنْ فَتَنَ النُّسّاكَ بعضُ مَحاسِنٍ ... لديكِ، فكُلٌّ منكِ موْضِعُ فِتَنتي

(1) **اللبس**: الالتباس. **الطينة**: الخلقة والجبلة.
(2) **لم يحل**: لم يتغير. **فترة**: انقطاع من المدة.
(3) **استسرت**: اختفت، من دخول القمر آخر الشهر أي السرار.
(4) **النهى**: العقول.
(5) **الخلعة**: الثوب الذي يخلع فيوهب.
(6) **خلع العذار**: كناية عن التهتك والخلاعة.
(7) **استعابوا تهتكي**: عدوه عيباً. **القلى**: الهجر مع بغضة.

وما احترتُ، حتى اخترتُ حُبّيكِ مَذهباً فواحيرتي، إن لَمْ تكنْ فيكِ خِيرتي

فقالت: هوَى غيري قَصَدتَ، ودونَهُ اق تَصَدتَ، عَمِيّاً، عن سواءِ مَحَجّتي[1]

وغرّك، حتى قُلتَ ما قُلتَ، لابِساً بِهِ شَيْنَ مَيْنٍ، لَبْسُ نفسٍ تمنّتِ[2]

وفي أنفَسِ الأوطارِ أمسَيْتَ طامعاً بنفسٍ تَعَدّتْ طَورَها، فتعَدّتِ[3]

وكيفَ بحُبّي، وَهْوَ أحسَنُ خُلّةٍ تفوزُ بدعوى، وهيَ أقبَحُ خَلّةَ[4]

وأينَ السُّهَى مِن أكْمَهٍ عن مُرادِهِ سَها، عَمَهاً، لكنْ أمانيكَ غرّتِ[5]

فقُمْتَ مقاماً حُطّ قَدرُكَ دونَهُ على قدمٍ، عن حظّها، ما تخطّتِ

ورُمتَ مَراماً، دونَهُ كم تطاوَلت بأعناقِها، قومٌ إليهِ، فجُذّتِ[6]

أتيتَ بُيوتاً لم تَنَلْ من ظُهُورِها وأبوابُها، عن قرْعِ مثلِكَ سُدّتِ

وبينَ يَدَي نَجْواكَ قَدّمْتَ زُخرُفاً تَرومُ بهِ عِزّاً، مَرامِيهِ عَزّتِ

وجئتَ بِوَجْهٍ أبيضٍ، غيرَ مُسقِطٍ لِجاهِكَ في دارَيْكَ، خاطِبَ صَفوَتي[7]

ولو كنتَ بي مِن نُقطَةِ الباء خَفْضَةً رُفِعْتَ إلى ما لم تَنَلْهُ بحيلةِ[8]

بحيثُ ترى أن لا ترى ما عَدَدْتَهُ وأنّ الذي أعْدَدْتَهُ غيرُ عُدّةِ

---

(1) **العمي**: الذي لا يبصر الحق. **المحجة**: الطريق. **السواء**: المستوي.

(2) **الشين**: العيب. **المين**: الكذب. **اللبس**: الالتباس والاختلاط.

(3) **تعدت طورها**: تجاوزت مقدارها. **وتعدت الثانية**: اعتدت.

(4) **الخلة**: بالضم: الصداقة، وبالفتح: الخصلة.

(5) **السهى**: نجم في السماء يخفى على الناظر. **الأكمه**: الأعمى. **العمه**: الضلال والتخبط. **وسها**: غفل.

(6) **جذت**: قطعت.

(7) **الصفوة**: خالص كل شيء وخياره.

(8) **الخفضة**: من خفضة الإعراب؛ وهي الكسرة.

ونَهْجُ سبيلي واضِحٌ لمنِ اهتدَى ولكنّها الأهواء عَمّتْ، فأعْمَتِ
وقد آن أن أُبْدي هواكَ، ومن به ضَناكَ، بِما يَنفي ادّعاكَ محَبّتي[1]
حليفُ غَرامٍ أنتَ، لكِنْ بنفْسِهِ وإبْقاكَ، وَصْفاً منك، بعضُ أدِلّتي
فلَمْ تهْوَني ما لم تكنْ فيّ فانِياً ولَمْ تَفْنَ ما لا تُجْتَلى فيكَ صورَتي
فدَعْ عنكَ دعوى الحبّ، وادعُ لِغَيرِهِ فؤادَكَ، وادفَعْ عنكَ غَيّكَ بالتي[2]
وجانِبْ جنابَ الوصْلِ، هيهاتِ لم يكُنْ وها أنت حيٌّ، إن تكن صادقاً مُتِ[3]
هوَ الحُبّ، إن لم تَقضِ لم تَقضِ مأرَباً منَ الحُبّ، فاخترْ ذاك، أو خَلّ خُلّتي
فقُلتُ لها: روحي لديكِ، وقبضُها إليكِ، ومَن لي أن تكون بقبضَتي
وما أنا بالشّاني الوفاةِ على الهوى وشأني الوَفا تَأبَى سِوَاهُ سَجِيّتي[4]
وماذا عسى عني يُقالُ سِوى قَضَى فُلانٌ، هوًى، مَن لي بِذا، وهْو بُغيَتي
أجَلْ أجَلي أرضى انقِضاهُ صَبَابَةً ولا وصْلَ، إن صَحّتْ، لحبّك، نِسبتي
وإنْ لمْ أفُزْ حَقّاً إليكِ بِنِسبَةٍ لِعِزّتِها، حسبي افتِخاراً بتُهْمةِ
ودون اتّهامي إنْ قَضَيْتُ أسًى فما أساتُ بِنفْسٍ، بالشّهادةِ، سُرّتِ
ولي منكِ كافٍ إن هَدَرْتِ دمي، ولم أُعَدَّ شهيداً، عِلمُ داعي مَنيّتي
ولم تَسْوَ روحي في وِصالِكِ بَذلَها لَدَيّ لِبَوْنٍ بَينَ صَوْنٍ وبِذلَةِ[5]

---

(1) **ادعاك**: ادعاءك.

(2) **الغي**: الضلالة والجهالة. **بالتي**: أي بالتي هي أحسن.

(3) **جانب**: تنح. **جناب**: الجانب والناحية. **مت**: أمر من مات يموت، وهو جواب شرط لم يقترن بالفاء ضرورة.

(4) **الشاني**: الشانىء مخففة؛ وهو المبغض. **السجية**: الطبيعة.

(5) **لم تسو**: لم تساو. **البون**: المسافة والبعد. **البذلة**؛ بالكسر: والصون عكسها؛ وهي ثياب الحياة الخاصة، ويقال لها: ثياب البذلة والامتهان مقابل ثياب الصيانة والعفاف.

وإني، إلى التّهديدِ بالموتِ، راكِنٌ ومِن هَولِهِ أركانُ غيريَ هُدّتِ
ولم تعسِفي بالقَتلِ نفسيَ بل لها بهِ تُسعِفي، إن أنتِ أتلَفتِ مُهجَتي
فإنْ صَحّ هذا القالُ مِنكِ رَفَعتِني وأعلَيْتِ مِقداري وأغلَيتِ قيمَتي[1]
وها أنا مُسْتَدعٍ قَضاكِ وما بهِ رِضاكِ، ولا أختارُ تأخيرَ مُدتي
وعِيدُكِ لي وعدٌ، وإنجازُهُ مُنى وَليّ بغيرِ البُعدِ إن يُرْمَ يَثْبُتِ[2]
وقد صِرتُ أرجو ما يُخافُ، فأسعِدي بهِ روحَ ميتٍ للحَياةِ استَعَدّتِ
وبي مَن بها نافَسْتُ بالرّوحِ سالِكاً سبيلَ الأُلى قبلي أبَوا غيرَ شِرْعتي
بِكُلّ قَبيلٍ كَمْ قَتيلٍ بها قَضى أسًى، لم يَفُزْ يوماً إلَيها بِنَظرةِ
وكم في الوَرَى مِثلي أماتَت صَبابَةً ولَوْ نَظَرَتْ عَطْفاً إلَيهِ لأحيَتِ
إذا ما أحَلّتْ، في هواها، دَمي، ففي ذُرَى العِزّ والعَلْياءِ قَدري أحَلّتِ
لعَمْري، وإن أتلَفْتُ عُمْري بحُبّها رَبِحتُ، وإنْ أبْلَتْ حَشايَ أبَلّتِ[3]
ذَلَلْتُ لَها في الحَيّ حتى وَجَدْتني وأدنَى مَنالٍ عِندَهُمْ فوْقَ هِمّتي
وأخْمَلَني وَهْناً خُضُوعي لهمْ، فلَمْ يَرَوني هَواناً بي مَحَلاً لِخِدمتي
ومِنْ دَرَجاتِ العِزّ أمْسَيْتُ مُخلِداً إلى دركاتِ الذّلّ من بَعدِ نخوتي
فلا بابَ لي يُغشَى، ولا جاهَ يُرتَجى ولا جارَ لي يُحمى لِفَقْدِ حَمِيّتي[4]
كأنْ لمْ أكُنْ فيهِمْ خَطيراً، ولمْ أزَل لَدَيهِمْ حَقيراً في رَخاءٍ وشِدّةِ

---

(1) **أغلى**: إذا سبب الغلاء، أو عرض الشيء لرفع سعره أو ثمنه.
(2) **الوعيد**: التهديد. **الولي**: الناصر.
(3) **أبلت الأولى بالتخفيف**: أفنت. والثانية بالتثقيل: إذا تعافت.
(4) **الحمية**: النخوة والحماسة.

فلو قِيل من تهوَى، وَصرّحتُ باسمِها لَقيلَ كَنى، أوْ مسّهُ طَيْفُ جِنّةِ[1]

ولو عَزّ فيها الذّلُّ ما لَذّ لي الهوى ولمْ تَكُ لَولا الحُبّ في الذلّ عِزّتي

فَحالي بِها حالٍ بِعَقْلِ مُدَلَّهِ وصِحّةِ مَجْهودٍ، وعِزّ مَذلّةِ[2]

أسَرّتْ تَمَنّي حُبّها النفْسُ حيثُ لا رقيبَ حجاً، سِرّاً لسِرّي، وخَصّتِ[3]

فأشفَقْتُ مِن سَيرِ الحديث بسائِري فتُعرِبُ، عن سِرّي، عِبارةُ عَبرَتي

يُغالِطُ بَعضي عنهُ بَعضي، صِيانَةً ومَيْنيَ، في إخفائِهِ، صِدْقُ لَهْجَتي[4]

وَلَمّا أبَتْ إظهارَهُ، لجَوانِحي بَدِيهَةُ فِكري، صُنْتُهُ عن روِيّتي[5]

وبالَغْتُ في كِتمانِهِ، فنَسِيتُهُ وأُنسيتُ كَتمي ما إليهِ أسَرّتِ

فإن أجنِ مِن غرْسِ المُنى ثَمَرَ العَنَا فَلِلّهِ نَفسٌ، في مُناها، تعنّتِ

وأحلى أماني الحُبّ، للنفسِ، ما قَضَت عَناها بِهِ مَنْ أذكَرَتْها وَأنسَتِ

أقامَتْ لهَا مِني عَليّ مُراقِباً خَواطِرَ قلبي، بالهوَى، إنْ ألَمّتِ[6]

فإنْ طرقتْ، سرّاً، من الوهمِ، خاطري بِلا حاظِرٍ، أطرَقْتُ إجلالَ هيبَةِ[7]

وَيُطرَفُ طَرْفي، إن هَمَمْتُ بِنظَرَةٍ وإنْ بُسِطَتْ كفّي إلى البسطِ كُفّتِ[8]

---

(1) **الجنة**: بالكسر: الجنون.

(2) **المجهود**: المكدود المتعب.

(3) **الحجا**: العقل.

(4) **المين**: الكذب.

(5) **الجوانح**: الضلوع. **بديهة الفكر**: أول ما يعرض عليه من خاطر. **الروية**: التروي بإعمال الذهن.

(6) **ألمت**: أطافت وأحاطت.

(7) **حاظر**: مانع وحاجز.

(8) **يطرف**: يصاب بأذى فتدمع العين. **الطرف**: العين. **كفت**: منعت.

فـفـي كـلّ عَـضْـوٍ فـيّ إقْـدامُ رغـبَـةٍ وَمِـنْ هَـيـبَـة الإعْـظَـام إحـجـامُ رَهـبَـةِ
لِـفِـيَّ وسَـمـعـي فـيّ آثـارُ زَخْـمَـةٍ عـلـيـهـا بَـدَتْ عِـنـدي كـإيثـارِ رحـمـةِ
لِسانيَ، إن أبدى، إذا ما تلا، اسمَها لهُ وصفُهُ سمْعي، وما صَمَّ يَصْمُتِ[1]
وأُذْنـيَ، إن أهـدَى لِـسـانـيَ ذكـرَهـا لِقلبي، ولم يستَعبِدِ الصَّمتَ، صُمّتِ
أغـارُ عـلـيـهـا أن أهـيـمَ بِـحُـبّـهـا وأعـرِفُ مِـقـداري، فـأُنـكِـرُ غَـيـرتي
فتُختَلَسُ الرّوحُ ارتياحاً لهـا، ومـا أُبَـرّىءُ نـفـسـي مِـن تَـوَهّـمِ مُـنْـيَـةِ
يَراها، على بُعدٍ عنِ العينِ، مِسمعي بِـطَـيْـفِ مَـلامٍ زائـرٍ، حيـنَ يـقـظَـتي
فَيَغْبِطُ طَرْفي مِسمَعي عندَ ذِكرها وتَـحْـسُـدُ، مـا أفـنَـتْـهُ مِـنّـي، بـقـيّـتي
أمَمْتُ أمامي في الحقيقة، فالورى ورائي، وكانتْ حَيثُ وجّهتُ وجهتي[2]
يَراها إمامي، في صلاتيَ، ناظِري ويَـشْـهـدُنـي قـلـبـي أمـامَ أئـمّـتـي
ولا غَـرْوَ أنْ صَـلّـى الإمـامُ إلـيّ أنْ ثَوَتْ في فؤادي، وهْيَ قِبلَةُ قِبلتي[3]
وكُلّ الجِهاتِ الستّ، نحوي، توَجّهتْ بـمـا تَـمّ مـن نُـسْـكٍ، وحَـجّ، وَعُـمْـرَةِ
لـهـا صـلـواتـي، بـالـمَـقـامِ، أُقـيـمُـهـا وأشـهَـدُ فـيـهـا أنّـهـا لـيَ صَـلّـتِ
كِـلانَـا مُـصَـلٍّ واحِـدٌ، سـاجِـدٌ إلـى حقيقَتِهِ، بالجمعِ، في كلّ سجدَةِ
وما كان لي صَلّى سِوايَ، ولم تكن صَلاتي لغَيري، في أداء كلّ ركعَةِ[4]
إلى كم أُواخي السِّتْرَ، ها قد هتَكتُهُ وحَلُّ أواخي الحُجبِ في عَقدِ بَيْعتي[5]

---

(1) **ما صم يصمت**: أي إن صم السمع يصمت اللسان.

(2) **أممت**: قصدت. **الورى**: الناس.

(3) **لا غرو**: لا عجب. **ثوت**: مكثت.

(4) **أدا**: أداء، مخففة.

(5) **أواخي**: جمع أخية، وقد مر. وأواخي بضم أوله: مضارع من المؤاخاة. **الحجب**: جمع حجاب، وهو الستر الحاجز.

مُنِحْتُ وَلاها، يوْمَ لا يوْمَ، قبل أن   بَدَتْ عند أخْذِ العهْدِ، في أوّليّتي[1]

فَنِلْتُ وَلاها، لا بِسَمْعٍ وناظِرٍ   ولا باكتِسابٍ، واجتِلابِ جِبِلّةِ

وهِمتُ بها في عالَمِ الأمْرِ، حيْثُ لا   ظُهورٌ، وكانتْ نَشوَتي قبلَ نشأتي

فأفنى الهوى ما لم يكُنْ ثَمّ باقياً   هُنا، من صِفاتٍ بينَنا، فاضمحلّتِ

فألفيْتُ ما ألقَيتُ عنّي صادراً   إليّ، ومنّي وارِداً بِمَزيدَتي[2]

وشاهدتُ نفسي بالصّفاتِ، التي بها   تحجّبْتِ عني، في شُهودي وَحِجْبتي[3]

وإني التي أحبَبْتُها، لا مَحالَةً   وكانت لها نفْسي علي مُحيلَتي[4]

فهامَتْ بها من حيْثُ لم تدرِ، وهيَ في   شُهودي، بنفس الأمْرِ غير جَهولَةِ

وقد آن لي تَفصِيلُ ما قُلتُ مُجْمَلاً   وإجمالُ ما فصّلْتُ، بَسطاً لِبَسطَتي

أفادَ اتّخاذي حُبَّها، لاتّحادنا   نوادِرَ، عن عادِ المحبّينَ، شَذّتِ

يَشي لي بيَ الواشي إليها، ولائِمي   عليها، بها يُبْدي، لديها، نَصيحتي

فأُوسِعُها شُكراً، وما أسلَفَتْ قِلًى   وتَمنَحُني بِرّاً، لِصِدقِ المحَبّةِ[5]

تَقَرّبْتُ بالنّفْسِ احتِساباً لها، ولَمْ   أكنْ راجياً عنها ثواباً، فأدْنَتِ

وقدّمْتُ مالي في مآلي، عاجلاً   وما إنْ عساها أن تكونَ مُنيلَتي

وخَلّفْتُ خَلفي رؤيتي ذاك، مخلِصاً   ولستُ بِراضٍ أن تكونَ مَطيّتي

ويمّمْتُها بالفَقْرِ، لكِنْ بوَصْفِهِ   غَنِيتُ، فألقَيْتُ افْتِقاري وثروتي

---

(1) **ولاها**: ولاءها. **أوليتي**: من أول. **يوم لا يوم**: أي قبل الخليقة.

(2) **مزيدتي**: مصدر كمزيد في المبنى والمعنى.

(3) **الشهود**: الحضور؛ بخلاف الحجبة بالكسر.

(4) **لا محالة**: لا بد، والتنوين ضرورة. **محيلتي**: صارفتي.

(5) **أوسعها شكراً**: أستوعبها شكراً. **أسلفت**: من السلف؛ وهو نوع من البيع يعطى فيه النقد مقدماً بانتظار السلعة الموصوفة في الذمة إلى أجل معلوم بين الطرفين.

فأثنَيتَ لي إلقاءَ فقريَ والغِنى فضيلَةَ قَصدي، فاطّرَحْتُ فضيلتي

فلاحَ فَلاحي في اطّرَاحي، فأصْبحَتْ ثَوَابيَ، لا شيْئاً سِواها مُثيبَتي[1]

وَظَلْتُ بها، لا بي، إليها أدُلّ مَن بِهِ ضَلّ عن سُبْلِ الهُدى، وهيَ دلّتِ

فخَلّ لها، خُلّي، مُرَادَكَ، مُعْطِياً قِيادَكَ مِن نَفسٍ بها مُطمئِنّةِ[2]

وأمْسِ خَلّياً من حُظوظك، واسمُ عن حضيضِكَ، واثبُتْ، بعدذلك، تنبُتِ[3]

وسَدّدْ، وقارِبْ، واعتصِم، واستقم لها مُجيباً إلَيها، عن إنابَةِ مُخْبِتِ[4]

وعُدمن قريب، واستجب، واجتنب، غداً أشَمّرُ، عن ساقِ اجتِهادٍ، بنهضَةِ[5]

وكن صارِماً كالوقتِ، فالمَقْتُ في عسى وإيّاكَ عَلاّ، فهْيَ أخْطَرُ عِلّةِ[6]

وقُمْ في رِضاها، واسْعَ، غيرَ مُحاوِلٍ نَشاطاً ولا تُخلِدْ لِعَجْزٍ مُفَوِّتِ[7]

وسِرْ زمناً، وانهض كسيراً، فحَظّك الـ بَطالَةُ ما أخّرْتَ عزماً لِصِحّةِ

وَأقدِمْ، وقَدّمْ ما قعَدْتَ لهُ معَ الـ خوالِفِ، وَاخرُجْ عن قيود التّلفّتِ[8]

وجُذّ، بسيْفِ العَزْمِ، سوفَ، فإن تجُد تجِد نفَساً، فالنفسُ إن جُدت جَدّتِ

---

(1) **لاح**: ظهر واتضح. **مثيبتي**: أي التي تعطيني الثواب.

(2) **خلي**: يا خلي؛ يا صديقي. **خليّ بالتشديد**: خالٍ.

(3) **اسم**: أترفع وأرتفع من السمو، مخففاً الفعل ضرورة. **الحضيض**: قرار الأرض عند أسفل الجبل. **تنبت**: تبلغ مبلغ الرجال.

(4) **مخبت**: خاشع.

(5) **نهضة**: نهوض للأمر.

(6) **المقت**: أشد البغض. **في عسى**: في الترجي. **علاّ**: لعل، والمد ضرورة.

(7) **تخلد**: تركن. **مفوت**: الذي يُفوت الشيء، بالتشديد.

(8) **الخوالف**: جمع خالفة؛ الأمة التي تخلف أمة قبلها.

وأقبِلْ إليها، وانحُها مُفلِساً، فقدْ وصَيتَ لِنُصْحي، إن قبِلْتَ نصيحتي[1]

فلم يَدْنُ منها موسِرٌ باجتِهادِهِ وعنها بِهِ لم ينأ مؤثِرُ عُسْرَةِ

بِذاكَ جَرَى شَرْطُ الهوى بين أهلِهِ وطائفةٌ، بالعَهْدِ، أوفَتْ فوَفَتِ

متى عصَفَتْ ريحُ الوَلا قصَفَت أخا غَناء، ولو بالفَقْرِ هَبّتْ لَرَبّتِ[2]

وأغنى يَمينٍ، باليَسارِ جزاؤها مُدى القطعِ ما، للوصلِ، في الحبّ مُدّتِ

وأخلِصْ لها، واخلُص بها عن رُعونة افـ تِقارِكَ مِنْ أعمالِ بِرّ تزَكّتِ

وعادِ دواعي القيلِ والقالِ، وانجُ من عَوادي دعاوٍ صِدْقُها قصْدُ سُمْعَةِ

فألسُنُ مَنْ يُدْعى بألْسَنِ عارِفِ وقد عُبِرَتْ كل العِباراتِ، كَلّتِ[3]

وما عنه لم تُفْصِحْ، فإنّك أهلُهُ وأنْتَ غريبٌ عنه، إن قلتَ، فاصْمتِ

وفي الصّمت سَمتٌ، عنده جاهُ مُسكةِ غدا عبْدَه من ظَنّه خَيرَ مُسكِتِ[4]

فكن بصراً وانظُرْ، وسَمعاً وعِهْ، وكن لساناً وقُل، فالجَمْعُ أهدى طريقَةِ

ولا تتّبِعْ مَنْ سَوّلَتْ نفسُهُ لَهُ فصارَتْ لهُ أمّارَةً، وَاستَمرّتِ

ودَعْ ما عَداها، واعدُ نفسَك فهي من عِداها، وعُذْ منها بأحْصَنِ جُنّةِ[5]

فنَفْسيَ كانَتْ، قبلُ، لَوّامَةً متى أُطعْها عصَتْ، أوْ أعصِ عنها مُطيعتي

فأوْرَدْتُها ما المَوْتُ أيْسَرُ بَعْضِهِ وأتْعَبْتُها، كَيما تكون مُريحتي

---

(1) **انحها**: اقصدها وتعمد نحوها. **المفلس**: ذو فلس؛ بالفتح؛ بمعنى المفتقر.
(2) **الولا**: الولاء؛ النصرة. **قصفت**: إذا كسرت. **غناء**: الإغناء. **ربت**: أصلحت.
(3) **ألسن عارف**: أفصح عارف. **عبرت**: من العبارة، وهي هنا بإسناد مجازي. **كلت**: أي عجزت، من الكلال العجز والتعب والضعف.
(4) **سمت**: حسن تصرف. **جاه**: وجاهة وشرف. **مسكة**: وفور العقل.
(5) **أحصن**: من التحصن، اسم تفضيل. **جنة**: وقاية، وهي الترس في الأصل.

فعادتْ، ومهما حُمّلَتْهُ تحَمّلَتْـ ... ـهُ مِنّي، وإن خفّفْتُ عنها تأذّتِ

وكَلّفْتُها، لا بل كَفَلْتُ قيامَها ... بِتَكليفِها، حتى كَلِفْتُ بِكُلفتي[1]

وأذْهَبْتُ، في تهذيبِها، كُلّ لَذّةٍ ... بإبْعادِها عن عادِها، فاطمأنّتِ

ولم يَبْقَ هوْلٌ دونَها ما ركِبْتُهُ ... وأشهَدُ نفسي فيهِ غيرَ زَكيّةِ

وكلّ مقامٍ، عن سُلوكٍ، قطَعتُهُ ... عُبودِيّةً حَقّقْتُها، بعُبودةِ[2]

وصرتُ بِها صَبّاً، فلمّا تركْتُ ما ... أريدُ، أرادَتْني لها وأحبّتِ

فَصِرْتُ حبيباً، بل مُحِبّاً لِنفسِهِ ... وليسَ كقَولٍ مَرّ، نفسي حبيبتي

خَرَجْتُ بها عنّي إليها، فلم أعُدْ ... إليّ، ومثلي لا يَقولُ بِرَجعَةِ

وأفْرَدْتُ نفسي عن خُروجي، تكرّماً ... فلم أرْضَها، منْ بعدِ ذاكَ، لصُحبَتي

وغَيّبْتُ عن إفرادِ نفسي، بحيثُ لا ... يُزَاحِمُني إبْداءُ وَصْفِ بحَضْرَتي

وها أنا أُبدي، في اتّحاديَ، مَبدَئي ... وأُنْهي انتِهائي في تواضُعِ رِفعتي

جَلَتْ، في تَجَلّيها، الوُجودَ لِناظِري ... ففي كُلّ مَرْئيّ أراها برؤيَةِ

وأُشهِدْتُ غَيبي، إذ بدتْ، فوجدتُني ... هُنالِكَ، إيّاها، بجَلْوةِ خَلْوَتي

وطاحَ وُجودي في شُهودي، وبِنْتُ عن ... وُجودِ شُهودي، ماحياً، غيرَ مُثبِتِ

وعانَقْتُ ما شاهدتُ في مَحْوِ شاهِدي ... بمَشهدِهِ للصّحْوِ، من بَعْدِ سَكرَتي

ففي الصّحوِ، بعد المَحْوِ، لم أكُ غيرَها ... وذاتي بذاتي، إذ تحَلّتْ تجَلّتِ[3]

---

(1) **كلفتها**: أمرتها بما يثقل عليها. **كلفت**: تعلقت تعلقاً شديداً. **الكلفة**: المشقة، وما يتكلفه الإنسان.

(2) **السلوك**: من مصطلحات الصوفية، وهو اتباع كل ما يجيء عن الطريقة، أو عن شيخها إجمالاً وتفصيلاً. **عبودة**: عبودية.

(3) **تحلت**: تزينت، من الحلي.

فوَصْفيَ، إذ لم تُدْعَ باثنَينِ، وَصْفُها ... وهيئتُها، إذ واحِدُ نحنُ، هيئَتي

فإن دُعيَتْ كُنتُ المُجيبَ، وإن أكُنْ ... منادَى أجابَتْ مَن دعاني، ولَبّتِ

وإنْ نَطَقَتْ كنتُ المُناجي، كذاك إن ... قَصَصْتُ حديثاً، إنّما هيَ قَصّتِ

فقد رُفِعَتْ تاءُ المُخاطَبِ بَينَنا، وفي ... رَفعِها، عن فُرْقةِ الفَرْقِ، رِفْعَتي

فإن لم يُجوِّزْ رؤيَةَ اثنَينِ واحداً ... حِجاكَ، ولم يُثْبِتْ لِبُعدِ تثَبُّتِ(1)

سأجْلو إشاراتٍ، عليكَ، خَفِيّةً ... بِها كعِباراتٍ، لدَيكَ، جَلِيّةِ

وأُعرِبُ عنها، مُغرِباً، حيثُ لاتَ حيـ ... نَ لَبْسٍ، بتَبْيانَيْ سَماعٍ ورؤيةِ

وأُثْبِتُ بالبُرْهانِ قَوليَ، ضارباً ... مثالَ مُحِقٍّ، والحقيقةُ عُمْدتي

بمَتْبوعةٍ، يُنبيك، في الصَّرْعِ، غيرها ... على فَمِها في مَسّها، حيثُ جُنّتِ(2)

ومِنْ لُغَةٍ تبدو بِغَيرِ لِسانِها ... عليهِ براهينُ الأدِلّةِ صَحّتِ

وفي العِلمِ، حقّاً، أنّ مُبدي غريبِ ما ... سمِعتَ سواها، وهْي في الحُسن أبدَتِ

فلو واحداً أمسيْتَ أصْبحْتَ وَاجِداً ... مُنازَلَةً، ما قُلتُهُ عن حقيقة

ولكنْ على الشّرْكِ الخفيّ عَكَفْت، لو ... عرَفتَ بنفسٍ، عن هُدى الحق، ضَلّتِ

وفي حُبّهِ مَن عَزّ توحيدُ حِبّهِ ... فبالشّرْكِ يَصلى مِنهُ نارَ قَطيعة(3)

وما شانَ هذا الشأن منكَ سِوى السّوى ... ودعواهُ، حقّاً، عنك إنْ تُمحَ تثبُت(4)

---

(1) **الحجا**: العقل. **التثبت**: التأني.

(2) **متبوعة**: جنية من بني الجن. **الصرع**: مرض المس الذي ينشأ عن الجن، حيث يتخبط الشيطان صاحبه.

(3) **الحب**، بالكسر: المحبوب.

(4) **شان**: عاب. **السّوى**: الآخرون.

كذا كُنتُ حيناً، قبل أن يُكشَفَ الغطا ... مِنَ اللَّبْسِ، لا أنفَكُّ عن ثَنَوِيّةِ[1]

أرُوحُ بِفَقْدٍ، بالشّهودِ مؤلّفي ... وأغْدو بِوَجْدٍ، بالوجودِ مُشَتّتي

يُفرّقُني لُبّي، التزاماً، بمَحْضَري ... ويَجمعُني سَلْبي، اصْطِلاماً، بِغيبتي[2]

أخالُ حضيضي الصّحوَ، والسكرَ معرَجي ... إليها، ومَحوي مُنتهَى قابِ سِدرتي[3]

فلمّا جلَوْتُ الغَينَ عنّي اجتَلَيْتُني ... مُفيقاً، ومنّي العَينُ بالعَينِ قَرّتِ[4]

ومِن فاقتي، سُكراً، غَنيتُ إفاقةً ... لدى فَرْقيَ الثّاني، فجَمْعي كوَحْدتي

فجاهِدْ تُشاهِدْ فيكَ منكَ، وراءَ ما ... وصَفْتُ، سُكوناً عن وُجودِ سَكينةِ

فمِن بعدما جاهدتُ شاهدتُ مَشهَدي ... وهادِيّ لي إيّايَ، بل بي قُدْوَتي[5]

وبي موْقِفي، لا بلْ إليّ تَوَجّهي ... كذاكَ صَلاتي لي، ومِنّيَ كَعْبتي

فلا تَكُ مَفْتُوناً بحُسْنِكَ، مُعْجِباً ... بنَفْسِكَ، مَوْقوفاً على لَبْسِ غِرّةِ[6]

وفارِقْ ضَلالَ الفَرْقِ، فالجمْعُ مُنتِجٌ ... هُدى فِرْقَةٍ، بالاتّحادِ تَحَدّتِ

وصرِّحْ بإطْلاقِ الجَمالِ ولا تَقُلْ ... بتَقْييدِهِ، مَيلاً لِزُخْرُفِ زِينَةِ

فكُلّ مَليحٍ، حُسنُهُ، منْ جَمالها ... مُعارٌ لهُ، بل حُسْنُ كلّ مَليحةِ

بها قَيسُ لُبْنى هامَ، بل كلّ عاشِقٍ ... كمَجنونِ لَيلى، أو كُثَيّرِ عَزّةِ

---

(1) **ثنوية**: الإيمان بإلهين للظلمة والنور.

(2) **لبي**: عقلي. **اصطلاماً**: استئصالاً.

(3) **معرجي**: مرتقاي ومصعدي. **قاب**: مقدار. **السدرة**: هي شجرة في الجنة مذكورة في القرآن، وتدعى سدرة المنتهى.

(4) **الغين**: من مصطلحات الصوفية، ويعني الاحتجاب عن الشهود. **العين الأولى**: الباصرة، والثانية هي ذات الشيء. **اجتلى**: رأى كاشفاً.

(5) **هادي**: بتشديد الياء، إضافة إلى المتكلم؛ المرشد الذي يرشدني.

(6) **الغرة**: الغفلة.

فكُلٌّ صَبا منهُمْ إلى وَصْفِ لَبْسِها ... بصورةِ حُسنٍ، لاحَ في حُسنِ صورةِ

ومـا ذاك إلاّ أن بـدَتْ بـمَـظـاهِـرٍ ... فظَنّوا سِواها، وهي فيها تجَلّتِ

بدَتْ باحْتِجابٍ، واختَفَتْ بمَظاهِرٍ ... على صِبَغِ التّلْوينِ في كلّ بَرْزَةِ[1]

فـفـي الـنّـشـأة الأولـى تـرَاءتْ لآدَمٍ ... بـمَظْهَرِ حَوّا، قبلَ حُكم الأمومة

فـهـامَ بـهـا، كَـيـمـا يـكـونَ بـهِ أبـاً ... وَيَـظْـهَرَ بالزّوْجَينِ حُكمُ البُنوّةِ

وكانَ ابتدا حُبّ المَظاهِرِ بعْضَها ... لبَعْضٍ، ولا ضِدٌّ يُصَدّ بِبِغْضَةِ

وما برِحَتْ تَبْدو وتَخْفَى، لِعلّةٍ ... على حَسَبِ الأوْقاتِ في كلّ حِقْبَةِ

وتَـظْـهَـرُ لـلـعُـشّـاقِ فـي كـلّ مَـظْـهَـرٍ ... من اللّبْسِ، في أشْكالِ حُسنٍ بديعةِ

فـفـي مَـرّةٍ لُـبْـنـى، وَأُخـرى بُـثَـيـنَـةً ... وآوِنَـةً تُـدْعَـى بـعَـزّةَ عَـزّتِ[2]

وَلَـسـنَ سِـواهـا، لا ولا كُـنّ غَـيـرَهـا ... وما إن لها، في حُسنها، من شَريكةِ

كـذاك بـحُـكْـمِ الاتّـحـادِ بـحُـسْـنِـهـا ... كما لي بَدَتْ، في غيرِها، وتزَيّتِ

بـدوْتُ لـهـا فـي كُـلّ صَـبّ مُـتَـيَّـمٍ ... بـأيّ بـديـعٍ حُـسْـنُـهُ وبـأيّـةِ

وَلَيْسوا، بغَيري في الهَوى، لتَقَدّمٍ ... عليّ، لِسَبْقٍ في اللّيالي القَديمَةِ

وما القَوْمُ غَيري في هَواها، وإنّما ... ظَهَرْتُ لهمْ، لِلَّبْسِ، في كلّ هيئةِ

فـفـي مَـرّةٍ قَـيـسـاً، وأُخـرى كُـثَـيّـراً ... وآوِنَـةً أبـدو جَـمـيـلَ بُـثَـيْـنَـةِ[3]

تَجَلّيْتُ فيهِمْ ظاهراً، واحْتَجَبْتُ با ... طِناً بِهِم، فاعْجَبْ لِكشْف بسُترةِ

وهُـنّ وهُـمْ، لا وَهْـنَ وَهْـمٍ مَـظـاهِـرٌ ... لـنـا، بِـتَـجَـلّـيـنـا بـحـبّ ونَـضْـرَةِ

(1) صبغ: جمع صبغة؛ من الصباغ، بكسر الصاد. برزة: ظهور؛ وهي مصدر مرة.
(2) لبنى: محبوبة قيس بن الملوح العامري، وبثينة: محبوبة جميل بن معمر العذري. وعزة: محبوبة كثير عزة. وكلهم شعراء من العصر الأموي.
(3) انظر الحاشية السابقة.

فكُلّ فَتى حُبّ أنا هُوَ، وهيَ حِبّـ ... ـبُ كُلِّ فَتّى، والكُلّ أسماءُ لُبْسةِ[1]
أسامٍ بِها كُنْتُ المُسمّى، حَقِيقَةً ... وكنتُ ليَ البادي بِنَفْسٍ تخفّتِ
وما زِلْتُ إيّاها، وإيّايَ لم تَزَلْ ... ولا فَرْقَ، بل ذاتي لِذاتي أحَبّتِ
وليس معي، في الملك، شيءٌ سِوَاي ... والمَعِيّةُ لم تخطُرْ على أَلْمَعِيّةِ[2]
وهَذي يَدي، لا أنّ نَفْسي تَخَوّفَتْ ... سِوَايَ، ولا غيري، لخيري، تَرَجّتِ
ولا ذُلّ إخمالٍ لِذِكري توَقّعَتْ ... ولا عِزَّ إقْبالٍ لِشكري تَوَخّتِ[3]
ولكِنْ لِصَدّ الضّدّ عن طَعْنِهِ على ... عُلا أولياء المُنْجِدينَ، بنَجدتي[4]
رَجَعْتُ لأعمالِ العِبادةِ، عادَةً ... وأعدَدْتُ أحْوالَ الإرادة عُدّتي
وعُدتُ بنُسكي، بعدهتكي، وعُدتُ من ... خَلاعَةِ بَسْطي، لانْقِباضٍ بعِفّةِ
وصُمْتُ نَهاري، رغبةً في مَثوبَةٍ ... وأحْيَيْتُ لَيلي، رَهبةً مِن عُقوبَةِ
وعَمّرْتُ أوْقاتي بِوِرْدٍ لِوَارِدٍ ... وَصَمْتٍ لِسَمْتٍ، واعتِكافٍ لحُرْمَةِ
وبِنتُ عنِ الأوطانِ، هِجرانَ قاطِعٍ ... مُواصَلَةَ الإخوانِ، واخترْتُ عُزْلَتي
وَدَقّقْتُ فِكري في الحلالِ، تَوَرُّعاً ... وراعَيتُ، في إصْلاحِ قُوتيَ، قوّتي
وأنفَقْتُ من يُسْرِ القَناعَةِ، راضياً ... منَ العيْشِ، في الدنيا، بأيْسرِ بُلْغةِ[5]
وهَذّبْتُ نَفسي بالرياضة، ذاهِباً ... إلى كشْفِ ما حُجْبُ العوائدِ، غطّتِ[6]
وجَرّدتُ، في التجريد، عزمي، تزَهّداً ... وآثَرْتُ، في نُسكي، استِجابَةَ دعوتي

---

(1) **اللبسة**: الالتباس والاختلاط.
(2) **الألمعية**: الذكاء.
(3) **توخت**: تقصدت وتطلبت.
(4) **المنجدين**: من النجدة؛ المساعدين. **والنجدة**: البأس والشجاعة.
(5) **البلغة**: مبلغ ما يمسك الرمق بأيسر قوت.
(6) **الرياضة**: نوع من المجاهدات الصوفية لترويض النفس وتهذيبها.

متى حِلْتُ عن قولي: أنا هيَ، أوْ أقُلْ وحاشا لِمِثْلي: إنّها فيَّ حَلّتِ

وَلَسْتُ على غَيْبٍ أُحِيلُكَ، لا ولا على مُستحيلٍ، موجِبٍ سَلْبَ حيلتي

وكيفَ، وباسْمِ الحقّ ظَلّ تَحَقُّقي تكونُ أراجيفُ الضّلالِ مُخيفَتي

وها دِحْيَةٌ، وافى الأمينُ نبيَّنا بِصورَتِهِ، في بَدءِ وَحْيِ النّبوءةِ[1]

أجبريلُ قُلْ لي: كانَ دِحيَةُ، إذ بدا لِمُهدي الهُدى، في هيْئَةٍ بَشَرِيّةِ؟

وفي عِلمِهِ، عن حاضِريهِ، مزِيّةٌ بماهِيّةِ المَرْئيّ مِن غيرِ مِرْيَةِ[2]

يَرَى مَلَكاً يوحي إليه، وغيرُهُ يَرى رَجُلاً يُدْعَى لَدَيْهِ بِصُحبةِ

ولي، مِن أتَمّ الرّؤيَتَينِ، إشارةٌ تُنَزّهُ، عن رأي الحُلولِ، عقيدتي

وفي الذكرِ ذكرُ اللَّبْسِ ليسَ بِمُنكرٍ ولم أعْدُ عن حُكميَ كِتابٍ وَسُنّةِ

مَنَحْتُكَ علماً، إن تُرِدْ كشفَهُ، فرِدْ سَبيليَ، واشْرَعْ في اتّباعِ شريعتي

فَمَنْبَعُ صَدّي من شَرابٍ، نَقِيعُهُ لَديّ، فدَعْني مِن سَرابٍ بِقِيعةِ[3]

وَدُونَكَ بحْراً خُضْتُهُ، وَقَفَ الأُلى بِساحِلِهِ، صَوناً لِموْضِعِ حُرْمتي

ولا تَقْرَبوا مالَ اليتيمِ، إشارَةٌ لِكَفّ يدٍ صُدّتْ لَه، إذ تَصَدّتِ

وما نالَ شيئاً مِنهُ غيري سِوى فتًى على قَدَمي، في القبضِ والبسطِ، ما فتي[4]

---

(1) **ها**: للتنبيه. **دحية**: اسم رجل من بني كلب، كان جبريل يأتي عل صورته حين يأتي بالوحي.

(2) **من غير مرية**: من غير مجادلة ولا اختلاف.

(3) **السراب**: معروف. **قيعة**: واحدها قاع؛ وهي الأرض السهلة التي تنفرج عنها الآكام والجبال.

(4) **ما فتي**: ما فتىء، مخففة أي ما زال.

فلا تَغْشُ عن آثارِ سَيريَ، واخْشَ غَيْـ نَ إيثارِ غيري، واغشَ عَينَ طريقتي[1]

فؤادي وَلاها، صاحِ، صاحي الفؤادِ في ولايَـةِ أمـري، داخـلٌ تـحْـتَ إمـرتـي

ومُلْكُ مَعالي العِشْقِ مُلكي، وجنديَ الـ ـمَعاني، وكُـلّ الـعاشِقِـينَ رَعيّتي

فتى الحبّ، ها قد بِنتُ عَنهُ بحُكمِ مَن يَـرَاهُ حِـجـاباً، فـالـهَـوى دونَ رُتبَـتـي

وجاوَزْتُ حدّ العِشقِ، فالحبّ كالقِلى وعـن شـأوِ مِـعْـرَاجِ اتّـحاديَ رِحـلَتـي

فطِبْ بالهَوَى نَفساً، فقد سُدتَ أنفُسَ الـ ـعِـبـادِ مِـنَ الـعُـبّـادِ، فـي كُـلّ أُمّـةِ

وفُزْ بالعُلى، وافخَرْ على ناسِكٍ علا بِـظـاهِـرِ أعـمـالٍ، ونَـفْـسٍ تَـزَكّـتِ

وجُزْ مُثْقَلاً، لو خَفّ طَفّ مُوكّـلاً بمَنقولِ أحكامٍ، وَمعْقولِ حِكْمَةِ[2]

وحُـزْ بـالـولا مـيـراثَ أرفَـعِ عـارِفِ غَـدا هَـمّـهُ إيـثـارَ تـأثـيـرِ هِـمّـةِ

وتِهْ ساحِباً، بالسُّحبِ، أذيالَ عاشِقٍ بوَصْلٍ، على أعلى المَجَرّةِ جُرّتِ[3]

وجُـلْ فـي فُـنـونِ الاتّـحـادِ ولا تَـحِـدْ إلـى فـئـةٍ، فـي غَـيـرِهِ الـعُـمْـرَ أفنَـتِ

فـواحِـدُهُ الـجَـمُّ الـغَـفـيـرُ، ومَـنْ غَـدا هُ شِـرْذِمَـةٌ، حُـجّـتْ بـأبـلَـغِ حُـجّـةِ[4]

فَـمُـتّ بِـمَـعـنـاهُ، وعِـشْ فـيـهِ أو فَـمُـتْ مُـعَـنّـاهُ، واتْـبَـعْ أُمّـةً فـيـهِ أَمّـتِ[5]

فأنتَ بهذا المَجدِ أجدَرُ من أخي اجْـ تِـهـادٍ، مُـجِـدٍّ عَـنْ رجـاءٍ وخِـيـفَـةِ

---

(1) **لا تعش**: من العشا؛ سوء البصر في الليل. **اغش**: اقصد. الطريقة والطريق واحد: وهنا بمعنى المذهب.

(2) **جز**: من جاز الطريق إذا قطعه. **طف**: دنا واقترب.

(3) **ته**: أمر من التيه؛ وهو الخيلاء والتكبر. **المجرة**: مساحة في السماء تشتمل على نجوم متكاثفة ترى كالمتصلة في رقعة بيضاء.

(4) **الشرذمة**: الجماعة القليلة العدد. **حجت**: غلبته بالحجة.

(5) **مت بمعناه**: أي صل بمعناه. **المعنى**: المتعب. **أمت**: قصدت.

وغَيرُ عَجيبٍ هَزُّ عِطفَيكَ، دونَهُ بـأهْـنـا، وأنْـهَـى لَـذّةٍ ومَـسَـرّةِ[1]

وأوْصافُ من تُعزَى إليه، كم اصْطفتْ منَ النّاسِ مَنسيّاً وأسماهُ أسمتِ[2]

وأنـتَ عـلـى مـا أنـتَ عـنّـيَ نـازِحٌ ولَـيـسَ الـثّـرَيّا، لـلـثّرَى، بـقَـرِينَـةِ

فـطُـورُكَ قَـد بُـلّـغـتُـهُ، وبَـلَـغـتَ فَـوْ قَ طَوْرِكَ، حيثُ النّفس لم تك ظُنّتِ[3]

وحَدُّكَ هـذا، عـنـدَهُ قِـفْ، فـعَـنه لـوْ تـقـدّمْـتَ شيـئـاً، لاحـتـرقـتَ بـجَـذوَةِ

وقَدري، بـحَـيـثُ الـمَرْءُ يُـغـبَطُ دونَـهُ سُمُوّاً، ولكِن، فوقَ قدرِكَ، غِبطتي

وكُـلُّ الـوَرى أبْـنـاءُ آدمَ، غَـيـرَ أنّـ ـني حُزْتُ صَحْوَ الجمعِ، من بين إخوتي

فَـسَـمْـعـي كَـلـيـمِيٌّ، وقـلـبي مُـنَـبّـأٌ بـأحـمَـدَ، رؤيـا مُـقـلَـةٍ أحْـمَـديـةِ[4]

وروحِـي لـلأرواح روحٌ، وكُـلّ مـا ترى حَسَناً في الكونِ من فَيض طينتي

فَـذَرْ لـيَ مـا قَـبْـلَ الـظّـهـورِ عَـرَفـتُـهُ خُصوصاً، وبي لَمْ تَدْرِ في الذّرّ رُفقتي

ولا تُسمِني فيها مُريداً، فمَنْ دُعي مُراداً لـها، جَذْباً، فقيرٌ لعِصمتي

وألْغِ الكُـنى عني، ولا تَلْغُ ألْكَـنا بها، فهْيَ مِن آثارِ صِيغةِ صَنعَتي[5]

وعن لقَبي بالعارِفِ ارْجِعْ، فإنْ تَرَ الـ تَنابُزَ بالألقابِ، في الذّكرِ، تُمقَتِ

فأصغَرُ أتباعي، على عينِ قَلبِهِ عـرائـسُ أبـكـارِ الـمَـعـارِفِ، زُفّـتِ

جَنى ثَمَرَ العِرْفانِ من فَرْعِ فِطنَةٍ زكا باتّباعي، وهوَ من أصلِ فِطرَتي

---

(1) **هز عطفيك**: كناية عن التبختر في المشية؛ إذ ينظر المرء إلى أعطافه تبختراً وخيلاء.

(2) **أسماه**: أعلاه؛ من السمو. **أسمت**: رفعت.

(3) **طورك**: إضافة إلى جبل الطور المعروف. **وبالفتح بمعنى**: القدر والحد.

(4) **كليمي**: نسبة إلى الكليم أي موسى عليه السلام الذي كلم الله.

(5) **لا تلغ**: من اللغو؛ الكلام لا طائل من ورائه. **ألكن**: من في لسانه لكنة؛ وهي ثقل في اللسان عن تأدية المخارج للأصوات.

فإنْ سيلَ عن مَعنًى أتَى بغرائبٍ عنِ الفَهمِ جلّتْ، بل عن الوَهم دقّتِ[1]

ولا تدعُني فيها بنَعتٍ مُقرَّبٍ أراهُ بِحُكمِ الجمعِ فَرْقَ جريرَةِ[2]

فوَصْليَ قَطعي، واقترابي تَباعُدي ووُدّيَ صَدّي، وانتِهائي بَداءتي

وفي مَن بِها وَرّيتُ عنّي، ولمْ أُرِدْ سوايَ، خَلَعتُ اسمي ورَسمي وكُنيتي[3]

فسِرْتُ إلى ما دونَه وَقَفَ الأُلى وضَلّتْ عُقولٌ، بالعوائِدِ ضَلّتِ[4]

فلاوَصْفَلي، والوَصْفُرَسمٌ، كذاكالا سم وَسمٌ، فإن تكني، فكَنّ أو انعَتِ

ومِن أنا إيّاها إلى حيثُ لا إلى عرَجتُ، وعطّرْتُ الوُجودَ برَجعتي

وعن أنا إيّايَ لباطِنِ حِكمَةٍ وظاهِرِ أحكام، أقيمَتْ لدَعوَتي

فغايَةُ مَجذوبي إلَيها، ومُنتَهَى مُرادِيهِ ما أسلَفتُهُ، قبلَ تَوبتي[5]

ومِنّيَ أوْجُ السّابقينَ، بزَعمِهِمْ حَضيضُ ثرَى آثارِ موضِعِ وَطْأتي

وآخِرُ ما بَعدَ الإشارَةِ، حيثُ لا تَرَقّي ارتفاعٍ، وضْعُ أوّلِ خَطوَتي

فما عالِمٌ إلاّ بفَضْلِيَ عالِمٌ ولا ناطِقٌ في الكَونِ إلاّ بمِدْحَتي

ولا غَرْوَ أن سُدْتُ الأُلى سَبَقوا، وقد تمسّكتُ، من طهَ، بأوثَقِ عُرْوَةِ

---

(1) **سيل**: مبني للمجهول مخففاً عن سئل. **جلت**: ترفعت وعظمت وتنزهت. **دقت**: صارت دقيقة.

(2) **الجريرة**: الذنب.

(3) **وريت**: من التورية؛ في علم البلاغة إيراد لفظة بمعنيين أحدهما يتبادر إلى الذهن والآخر بعيد، فيذكر هذا المتبادر ويراد المعنى البعيد.

(4) **العوائد**: جمع عائدة؛ وهي المعارف والمنافع التي تعود بالنفع.

(5) **مراديه**: مرادي إياه.

عـلـيـهـا مَـجـازيٌّ سَـلامـي، فـإنّـمـا حـقـيـقـتُـهُ مِـنـي إلـيّ تـحـيّـتـي[1]

وأطيَبُ ما فيـهـا وَجَدْتُ بـمُـبْتَـدا غرامي، وقد أبدى بها كُلَّ نَذْرَةِ[2]

ظُهوري، وقد أخفَيتُ حاليَ مُنشِداً بـهـا، طَـرَبـاً، والـحـالُ غيـرُ خَـفـيّـةِ

بَدَتْ، فرأيتُ الحَزْمَ في نَقضِ توبتي وقـامَ بـهـا عـنـدَ الـنُّـهَـى عُـذْرُ مِـحـنَـتـي

فمنها أماني من ضَنى جَسَدي بها أمـانـيُّ آمـالٍ سَـخَـتْ، ثُـمّ شَـحّـتِ[3]

وفيها تَلافي الجسمِ، بالسُّقمِ، صِحّةٌ لـهُ، وتَـلافُ الـنّـفـسِ نَـفْـسُ الـفُـتـوّةِ

ومَوتي بـهـا، وَجْداً، حَـيـاةٌ هـنـيـئـةٌ وإن لـم أمُتْ في الحبّ عشتُ بغُصّةِ

فـيـا مُـهـجـتي ذُوبي جـوًى وصَـبـابَـةً ويـا لـوعَـتي كُـوني، كـذاك، مُـذيـبـتي

ويا نارَ أحشائي أقيمي، منَ الجوى حَـنـايـا ضـلـوعي، فَـهْـيَ غـيـرُ قـويـمـةِ

ويا حُسنَ صَبري، في رِضَى مَن أُحبّها تجمّلْ، وكُنْ للدّهرِ بي غيرَ مُشمِتِ[4]

ويـا جَـلَـدي، في جَـنبِ طاعةِ حُبّـهـا تـحَـمّـلْ، عَـداكَ الـكَـلُّ، كُـلَّ عظيمة[5]

ويا جَسدي المُضنى تَسَلّ عنِ الشّفا ويـا كَـبِـدي، مَـن لـي بـأنْ تَـتَـفَـتّـتـي

ويـا سَـقَـمـي لا تُـبـقِ لـي رَمَـقـاً، فـقَـدْ أبَـيْـتُ، لـبُـقْـيـا الـعِـزّ، ذُلّ الـبَـقـيّـةِ

ويا صِحّتي، ما كان من صحبتي انقضَى ووصـلُـكِ في الأحـشـاء مَـيـتـاً كـهِـجـرَةِ

---

(1) **مجازي**: نسبة إلى المجاز؛ خلاف الحقيقة في البلاغة؛ وهو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة في لغة العرب. وقد توسع قدوم في المجاز كالمعتزلة وفرق أخرى حتى خرجوا به عما وضعته العرب، مما حدا ببعض الناس إلى إنكار الاصطلاح أصلاً تحرزاً من عبث العابثين.

(2) **نذرة**: إنذار ونذارة بالكسر، بمعنى واحد؛ وهي في مقام التهديد والوعيد جميعاً.

(3) **سخت**: من السخاء؛ أي الجود بالعطاء. وعكسها شحت.

(4) **تجمل**: تماسك وتصبر.

(5) **الكل**: الإعياء والنصب. **عداك**: تجاوزك. **العظيمة**: كل أمر عظيم.

ويا كلّ ما أبقى الضّنى منّيَ ارتَحِلْ ... فما لكَ مأوًى في عِظامٍ رَميمَةِ

ويا ما عسَى منّي أُناجي، تَوَهّماً ... بياءِ النّداء، أُونِستُ منكَ بوَحشَةِ

وكُلّ الذي تَرضاهُ، والموتُ دونَهُ ... بهِ أنا راضٍ، والصّبابةُ أرضَتِ

ونَفسِيَ لم تَجزَعْ بإتلافِها أسًى ... ولَوْ جزِعتْ كانتْ بغيرِي تأسّتِ

وفي كُلّ حيّ كُلّ حيّ كمَيّتٍ ... بها، عندهُ قَتلُ الهوَى خيرُ مَوْتَةِ

تَجمّعَتِ الأهْوَاءُ فيها، فما ترَى ... بها غيرَ صَبّ، لا يرى غيرَ صَبوَةِ

إذا سَفَرَتْ في يومِ عيدٍ تزاحمَتْ ... على حُسنِها أبصارُ كلّ قبيلَةِ

فأرواحهُمْ تَصْبو لِمعَنى جَمالِها ... وأحداقُهُمْ من حُسنِها في حَديقةِ

وعِندِيَ عيدي، كُلَّ يومٍ أرى بهِ ... جَمالَ مُحَيّاها، بعَينٍ قريرةِ

وكُلّ اللّيالي ليلة القَدْرِ، إنْ دَنَتْ ... كَما كلّ أيّامِ اللّقا يومُ جُمعةِ

وسعيي لها حَجٌّ، بهِ كُلّ وَقفَةٍ ... على بابِها، قد عادَلَتْ كلّ وَقفَةِ

وأيّ بلادِ اللهِ حَلّتْ بها، فَما ... أراها، وفي عيني حَلَتْ، غيرَ مكّةِ

وأيّ مكانٍ ضَمّها حَرَمٌ؛ كذا ... أرى كلّ دارٍ أوْطنَتْ دارَ هِجرَةِ

وما سكَنَتْهُ فهوَ بَيتٌ مُقَدَّسٌ ... بقُرّةِ عَيني فيهِ، أحْشايَ قَرّتِ

ومَسجِدِيَ الأقصَى مساحِبُ بُرْدها ... وطيبي ثرَى أرضٍ، عليها تَمَشّتِ[1]

مَواطِنُ أفراحي، ومَرْبَى مآربي ... وأطوارُ أوطاري، ومأمنُ خيفتي

مَغانٍ، بِها لم يَدخُلِ الدّهرُ بيننا ... ولا كادَنا صرْفُ الزّمانِ بفُرقَةِ

ولا سَعَتِ الأيّامُ في شَتّ شَملِنا ... ولا حَكَمَتْ فينا اللّيالي بجَفوَةِ

---

(1) **مساحب**: جمع مسحب؛ اسم مكان من السحب؛ وهي آثار ما يجر على التراب أو الأرض. **البرد**: الثوب اليماني المخطط.

ولا صَبّحتْنا النّائباتُ بِنَبوَةٍ ولا حَدّثَتنا الحادِثاتُ بنَكبَةِ[1]

ولا شَنّعَ الواشِي بِصَدّ وهِجرَةٍ ولا أرْجَفَ اللاّحي ببَينٍ وسَلوَةِ[2]

ولا استَيقَظَتْ عَينُ الرّقيبِ، ولم تزَل عليّ لها، في الحُبّ، عيني رقيبتي

ولا اختُصّ وَقتٌ دونَ وقتٍ بطَيبَةٍ بِها كلّ أوقاتي مَواسِمُ لَذّةِ

نَهاري أصيلٌ كُلّه، إنْ تَنَسّمَتْ أوائيلُهُ مِنها بَردَ تَحِيّتي[3]

ولَيلي فيها كُلّهُ سَحَرٌ، إذا سَرَى ليَ منها فيه عرْفُ نُسَيمَةِ[4]

وإن طرَقَتْ لَيلاً، فشَهرِيَ كُلّهُ بِها لَيلَةُ القَدرِ، ابتِهاجاً بزَوْرَةِ

وإنْ قَرُبَتْ داري، فعامِيَ كُلّهُ ربيعُ اعتِدالٍ، في رِياضِ أريضَةِ[5]

وإنْ رَضِيَتْ عني، فعُمرِيَ كُلّهُ زمانُ الصّبا، طيباً، وعصرُ الشبيبَةِ

لَئنْ جَمَعتْ شملَ المَحاسنِ صُورَةً شَهِدْتُ بها كُلّ المَعاني الدّقيقَةِ

فقَدْ جَمَعَتْ أحشايَ كلَّ صَبابَةٍ بها، وجَوًى يُنبيكَ عن كلّ صَبوَةِ

ولِمْ لا أُباهي كُلّ مَن يدّعي الهوَى بها، وأُناهي في افتخاري بِحُظوَةِ[6]

وقد نِلْتُ منها فوْقَ ما كنتُ راجياً وما لم أكنْ أمّلتُ من قُرْبِ قُربَتي

وأرغَمَ أنفَ البَينِ لُطْفُ اشتِمالِها عليّ، بما يُرْبي على كُلّ مُنيَةِ

---

(1) النائبات: الحادثات. النبوة: الجفاء.

(2) شنع: إذا جاء بالحديث الكذب. ومثله أرجف إلا أنه غالباً ما يكون الأخير في المرض والفراق. اللاحي: اللائم المعنف.

(3) أوائيله: أوائله؛ بإشباع الكسرة ياء.

(4) العرف: الرائحة الطيبة، وهي من شجر العرف أصلاً. نسيمة: مصغر نسمة.

(5) أريضة: معشبة كثيراً مع فسحة.

(6) أباهي: من المباهاة للتفاخر والمغالبة.

بها مثلَما أمسَيتُ أصْبَحتُ مُغرَماً — وما أصْبحتْ فيه من الحسنِ أمسَتِ
فلوْ منحتْ كلّ الوَرى بعضَ حُسنها — خَلا يوسُفٍ، ما فاتَهُمْ بِمَزِيّةِ
صرَفتُ لها كُلّي، على يدِ حُسنِها — فَضاعَفَ لي إحسانُها كُلّ وُصْلَةِ
يُشاهِدُ منّي حُسنَها كُلُّ ذرَةٍ — بها كُلّ طَرْفٍ جالَ في كلّ طَرْفةِ
ويُثني علَيها فيّ كُلُّ لَطيفَةٍ — بكُلّ لِسانٍ، طالَ في كُلّ لَفظَةِ
وأنشَقُ رَيّاها بكُلّ دَقيقَةٍ — بها كُلُّ أنفٍ ناشِقٍ كُلَّ هَبّةِ
ويَسمَعُ منّي لَفظَها كُلُّ بِضعَةٍ — بها كلّ سَمعٍ سامِعٍ مُتَنَصّتِ[1]
ويَلثُمُ منّي كُلُّ جُزْءٍ لِثامَها — بكُلّ فَمٍ، في لَثْمِهِ كُلُّ قُبْلَةِ
فلو بَسَطَتْ جِسمي رأتْ كلّ جوْهرٍ — بِهِ كلُّ قَلْبٍ، فيهِ كُلُّ مَحَبّةِ
وأغرَبُ ما فيها استَجَدتُ، وجادَ لي — به الفتحُ، كَشفاً، مُذهِباً كلّ رِيبَةِ[2]
شُهودي بعَينِ الجمعِ كلَّ مُخالِفٍ — ولِيَّ ائتِلافٍ، صَدُّهُ كالمَوَدّةِ
أحَبّني اللاّحي، وغارَ، فلامَني — وهامَ بها الواشي، فجارَ بِرِقْبَةِ
فَشُكري لِهذا حاصِلٌ حَيثُ بِرّها — لِذا واصِلٌ، والكُلّ آثارُ نِعْمَتي
وغيري على الأغيارِ يُثني، وللسّوى — سِوايَ، يُثَنّي منهُ عِطفاً لِعَطفَتي[3]
وشُكريَ لي، والبِرّ مِنّيَ واصِلٌ — إليّ، ونفسي، باتّحادي، استَبَدّت
وثَمّ أُمورٌ تَمّ لي كَشفُ سِتْرِها — بصَحوِ مُفيقٍ عَن سِوايَ تَغَطّتِ

---

(1) **البضعة**: القطعة من لحم.

(2) **استجدت**: وجدته جيداً. **الريبة**: الشك. **الفتح**: المراد به هنا الكشف الصوفي على معالم الغيوب.

(3) **الأغيار**: جمع غير. **يثني**: يمدح. **ويثني** بالتشديد: يتعطف ويتمايل. **العِطف**: واحد الإعطاف؛ لجانب الإنسان. **عطفة**: ميلة؛ وأنثها ليختص لنفسه بها.

وعَنّيَ بالتّلويحِ يَفْهَمُ ذائِقٌ غَنِيٌّ عنِ التّصريحِ للمُتَعَنّتِ[1]

بها لم يَبُحْ مَن لم يُبِحْ دمَهُ، وفي الْـ إشارَةِ مَعنًى، ما العِبارَةُ حَدّتِ[2]

ومَبْدأُ إبْداها اللّذانِ تَسَبّبَا إلى فُرْقتي، والجَمعُ يأبَى تَشَتُّتي[3]

هُما مَعَنا في باطنِ الجَمعِ واحدٌ وأرْبَعَةٌ في ظاهرِ الفَرْقِ عُدّتِ

وإنّي وإيّاها لَذاتٌ، ومَن وَشَى بها، وثنى عَنها صِفاتٌ تَبَدّتِ

فذا مُظهِرٌ للرّوحِ، هادٍ، لأفقِها شُهوداً، بدا في صيغةٍ مَعنَويّةِ

وذا مُظهِرٌ للنّفسِ، حادٍ، لرِفقِها وُجوداً، غدا في صيغَةٍ صُوَرِيّةِ[4]

ومَنْ عَرَفَ الأشكالَ مِثْلي لم يَشُبْـ ـهُ شِرْكُ هُدًى، في رَفعِ إشكالِ شُبهةِ

فَذاتيَ باللّذّاتِ خَصّتْ عَوالِمي بِمجموعِها، إمدادَ جَمعٍ، وعمّتِ

وجادت، ولا استعدادَ كَسبٍ بفيضِها وقبلَ التّهَيّي، للقَبولِ، استعدّتِ[5]

فبالنّفسِ أشباحُ الوُجودِ تَنعّمَتْ وبالرّوحِ أرواحُ الشّهُودِ تَهَنّتِ

وحالُ شُهودي: بينَ ساعٍ لأفقِهِ ولاحٍ مُراعٍ رِفْقَهُ: بالنّصيحةِ

شهيدٌ بحالي، في السّماعِ لجاذِبي قَضاءُ مَقَرّي، أو مَمَرُّ قضيّتي

ويُثِبتُ، نَفيَ الالتِباسِ، تطابُقُ الْـ مِثالَينِ بالخَمسِ الحواسِ المُبينَةِ

وبَينَ يَدَيْ مَرْمايَ، دونَكَ سِرّ ما تلقّتْهُ منها النّفسُ، سِرّاً، فألقَتِ

(1) التلويح عكس التصريح، كالإشارة مقابل العبارة. **المتعنت**: المتشدد المتزمت.

(2) **حدت**: أي جعلت له حدًا؛ وهو كالتعريف في المنطق.

(3) **إبداها**: إبدائها، مخففة الهمزة.

(4) **حاد**: اسم فاعل من حدا يحدو إذا ساق الإبل. **الصورية**: نسبة إلى الصور؛ أي ذات صور.

(5) **التهيي**: التهيؤ والاستعداد، بالتخفيف والإبدال.

إذا لاحَ معنى الحُسنِ في أيّ صورَةٍ ... وناحَ مُعَنّى الحُزنِ في أيّ سُورَةِ
يُشاهِدُها فِكري بِطَرْفِ تَخَيّلي ... ويَسمَعُها ذِكْري بِمِسْمَعِ فطنتي
ويُحْضِرُها للنّفسِ وَهْمي، تصَوّراً ... فيحسَبُها، في الحِسّ، فَهمي، نديمتي
فأعجبُ مِنْ سُكري بِغيرِ مُدامَةٍ ... وأطرَبُ في سرّي، ومِنّيَ طَرْبَتي
فَيرقُصُ قَلبي، وارْتِعاشُ مَفاصِلي ... يُصَفّقُ كالشّادي، وروحيَ قَينَتي[1]
وما بَرِحَتْ نفسي تَقَوّتُ بالمُنى ... وتَمحو القُوى بالضّعفِ، حتى تَقَوّتِ[2]
هُناكَ وَجَدتُ الكائناتِ تحالَفَتْ ... على أنّها، والعَوْنُ منّي، مُعينتي
لِيَجمَعَ شَملي كُلُّ جارِحَةٍ بها ... ويَشمَلَ جَمعي كلُّ مَنبِتِ شَعرَةِ
ويخلَعَ فينا، بَيننا، لُبْسَ بيننا ... على أنّني لم أُلفِهِ غيرَ أُلفَةِ
تَنَبّهْ لِنَقْلِ الحِسّ للنّفسِ، راغباً ... عن الدّرسِ، ما أبدَتْ بوَحيِ البديهَةِ
لروحيَ يُهدي ذِكْرُها الرَّوْحَ، كُلّما ... سَرَتْ سَحَراً مِنها شَمالٌ، وهَبّتِ[3]
ويَلتذُّ إنْ هاجَتهُ سَمعيَ، بالضّحى ... على وَرَقٍ وُرْقٌ، شَدَتْ، وتغنّتِ[4]
ويَنعَمُ طَرْفي إنْ رَوَتْهُ، عَشيّةً ... لإنسانِهِ عَنها بُروقٌ، وأهْدَتِ
ويَمْنَحُهُ ذَوقي ولَمْسِي أكْؤسَ الـ ... شّرابِ، إذا لَيلاً، عَلَيّ أُديرَتِ
ويوحيهِ قلبي للجَوانِحِ، باطِناً ... بِظاهِرِ ما رُسْلُ الجوارِحِ، أدّتِ

---

(1) **القينة**: المغنية؛ وأصلها في واقع اللغة المرأة التي تغني في خيمة. هي عبارة عن ماخور متنقل تأتي من الحيرة، على رأسها علم لهذه الغاية. وفيها تكون المرأة في كامل مباذلها. ومحاسنها أمام الرجال، كالحانات في الغرب اليوم. **والشادي**: الذي يشدو بالألحان والأشعار.

(2) **تقوت**: أصلها تتقوت؛ من القوت. **وتقوت الثانية**: من القوة.

(3) **الروح، بالفتح**: الراحة.

(4) **الورق**: المراد الغصن ذو الورق. **الورق، بضم أوله**: جمع ورقاء؛ وهي الحمامة.

ويُحضِرُني في الجمعِ مَن باسمِها شدا فأشهَدُها، عِندَ السّماعِ، بجُملتي

فيَنحو سَماءَ النّفحِ روحي، ومظهري الـ مُسَوَّى بها، يحنو لأترابِ تُرْبَتي[1]

فمِنّيَ مَجذوبٌ إلَيها وجاذِبٌ إليهِ، ونَزْعُ النّزْعِ في كلّ جَذبَةِ[2]

وما ذاكَ إلاّ أنّ نَفسي تَذَكّرَتْ حَقيقتها، مِن نَفسِها، حينَ أوحتِ

فحَنّتْ لِتَجريدِ الخطابِ بِبرزَخِ الـ تّرابِ، وكُلٌّ آخِذٌ بِأزِمّتي[3]

ويُنبيكَ عن شأني الوليدُ، وإن نشا بَليداً، بإلهامٍ كوَحيٍ وفِطنَةِ

إذا أنّ من شدّ القِماطِ، وحنّ، في نَشاطٍ، إلى تَفريجِ إفراطِ كُرْبَةِ

يُناغَى، فيُلغي كُلَّ كَلٍّ أصابَهُ ويُصغي لِمَنْ ناغاهُ، كالمُتَنَصّتِ[4]

ويُنسيهِ مُرَّ الخَطبِ حُلْوُ خِطابِهِ ويُذكِرُهُ نَجوَى عُهودٍ قَديمةِ

ويُعرِبُ عن حالِ السّماعِ بحالِهِ فيُثبِتُ، للرّقصِ، انتِفاءَ النّقيصَةِ[5]

إذا هامَ شَوْقاً بالمُناغي، وهَمّ أنْ يَطيرَ إلى أوطانِهِ الأوّليّةِ

يُسَكَّنُ بالتّحريكِ، وهو بِمَهْدِهِ إذا، ما لهُ أيدي مُرَبّيهِ، هَزّتِ

وجدتُ، بوَجدٍ، آخِذي، عند ذكرِها بِتَحبيرِ تالٍ، أو بألحانِ صَيّتِ

---

(1) **ينحو**: يقصد. **النفح**: ما تنفحه الريح بارداً. **المظهر**: الصورة. **المسوى**: المصنوع. **الأتراب**: جمع ترب بكسر أوله؛ وهو المقارب في السن. **والتربة**: الجبانة أو المقبرة.

(2) **النزع الأولى**: من نزعت الحبل إذا جذبته. **والثانية**: حالة السياق عند الموت ساعة الاحتضار الأخيرة.

(3) **حنت**: مالت. **البرزخ**: الحجاب بين الدنيا والآخرة. **الأزمة**: جمع زمام؛ وهو الرسن والمقود والخطام.

(4) **يناغى**: من المناغاة؛ للتكليم بما يحب المرء.

(5) **النقيصة**: كل ما يدعو إلى انتقاص قدر الإنسان من معائب.

كما يجِدُ المكرُوبُ في نَزْعِ نفسِهِ ... إذا، ما لَهُ رُسْلُ المَنايا، توفّتِ

فواجدُ كُرْبٍ في سياقِ لفُرْقَةٍ ... كَمَكْرُوبِ وَجْدٍ لاشتياقِ لِرُفقَةِ

فَذا نَفسُهُ رَقَتْ إلى ما بَدَتْ بهِ ... وروحي تَرَقّتْ للمبادي العَلِيّةِ

وبابُ تَخَطّيَّ اتّصالي، بحَيثُ لا ... حِجابَ وِصالٍ عَنهُ، روحي ترَقّتِ[1]

على أثَري مَن كان يُؤثِرُ قَصْدَهُ ... كمِثْليَ، فلْيَرْكَبْ له صِدْقَ عَزمةِ

وكَمْ لُجّةٍ قد خُضْتُ قبلَ وُلُوجه ... فقيرُ الغِنى ما بُلّ مِنها بِنَغْبَةِ[2]

بمِرْآةِ قولي، إنْ عزَمتَ، أُريكَها ... فأصْغِ لِما أُلْقي بسَمعِ بَصيرَةِ

لَفَظتُ من الأقوالِ لَفظيَ، عِبرَةً ... وحَظّي، من الأفعالِ، في كلّ فَعْلَةِ

ولَحظي على الأعمالِ حُسنُ ثَوابها ... وحِفظيَ، للأحوالِ، من شَينِ رِيبةِ[3]

ووَعظي بصِدقِ القَصْدِ إلقاءَ مخلِصٍ ... ولَفْظي اعتبارَ اللّفظِ في كلّ قِسمَةِ

وقَلبِيَ بَيْتٌ فيه أسكن، دونَهُ ... ظُهُورُ صِفاتي عَنهُ من حُجُبِيَّتي

ومنها يَميني، فِيَّ رُكنٌ مُقَبَّلٌ ... ومن قِبلَتي، للحُكمِ، في فِيّ قُبلَتي

وحَوْليَ بالمَعنى طَوافي، حقيقَةً ... وسَعيي، لوَجهي، من صَفائي لمَرْوَتي[4]

وفي حَرَمٍ من باطني أمْنُ ظاهري ... ومِنْ حَوْلِهِ يُخشَى تَخَطّفُ جيرَتي

ونَفسي بصَومي عن سِوايَ، تَفَرّداً ... زَكتْ، وبفَضلِ الفيضِ عنّي زَكّتِ

وشَفعُ وُجودي في شُهوديَ، ظلّ في اتّـ ... ـحاديَ، وِتْراً، في تَيَقّظِ غَفوتي

---

(1) **ترقت**: تصعدت.

(2) **اللجة**: معظم الماء. **النغبة**: الجرعة من الماء.

(3) **الشين**: العيب. **والريبة**: الشك.

(4) **الطواف**: من أركان الحج وسننه؛ حول الكعبة. **والسعي**: من أركان الحج، بين الصفا والمروة.

وإسراءُ سرّي، عن خُصوصِ حقيقةٍ إليّ، كَسَيري في عُمومِ الشّريعةِ[1]

ولم ألهُ باللاّهوتِ عن حُكمِ مظهَري ولم أنسَ بالنّاسوتِ مَظهرَ حِكمتي

فعَنّي، على النّفسِ، العُقودُ تحكّمت ومنّي، على الحِسّ، الحُدودُ أُقيمتِ

وقد جاءَني منّي رسولٌ، عليه ما عَنِتُّ، عزيزٌ بي، حريصٌ لرأفَةِ

فحُكميَ من نَفسي عليها قَضَيتُهُ ولما تولّتْ أمرَها ما تولّتِ

ومن عهد عهدي، قبل عصرِ عناصري إلى دارِ بَعثٍ، قَبلَ إنذارِ بَعثَةِ

إليّ رَسولاً كُنتُ مِنّي مُرسَلاً وذاتي، بآياتي عليّ، استَدَلّتِ

ولما نَقلتُ النّفسَ من مُلكِ أرضِها بحكمِ الشِّرا منها، إلى مُلكِ جَنّةِ

وقد جاهدتْ، واستُشهدتْ في سبيلها وفازَتْ بِبُشرَى بيعِها، حينَ أوفَتِ

سَمتْ بي لجَمعي عن خُلودِ سمائِها ولم أرْضَ إخلادي لأرضِ خليفتي

ولا فَلَكٌ إلاّ، ومن نورِ باطِني بهِ مَلَكٌ، يُهدي الهُدى بمَشيئَتي

ولا قُطْرَ إلاّ حَلّ مِن فيضِ ظاهِري بهِ قَطرَةٌ، عنها السّحائبُ سَحّتِ[2]

ومن مطلعي، النورُ البَسيطُ، كلَمعةٍ ومِن مَشْرَعي، البحرُ المحيطُ، كَقْطرَةِ[3]

فكُلّي لكُلّي طالِبٌ، مُتَوَجّهٌ وبعضي، لبَعضي، جاذِبٌ بالأعِنّةِ

ومَن كان فوقَ التّحتِ، والفوْقُ تحته إلى وَجهِهِ الهادي عَنَتْ كلُّ وِجهَةِ

فتَحتُ الثّرَى فوقُ الأثيرِ لرَتْقِ ما فَتَقْتُ، وفَتقُ الرّتقِ ظاهرُ سُنّتي

ولا شُبهَةٌ، والجمعُ عينُ تَيَقّنٍ ولا جِهَةٌ، والأينُ بينَ تَشَتّتي

---

(1) **الإسراء**: السير ليلاً؛ وقد اختص بإسراء الرسول محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

(2) **القطر**: الناحية والجانب. **سحت**: سكبت الماء.

(3) **المشرع**: مكان ورود الماء.

ولا عِدّةٌ، والعَدّ كالحدّ قاطِعٌ لا مُدّةٌ، والحدّ شِرْكُ مُوَقِّتِ
ولا نِدّ في الدّارَينِ يقضي بنَقْضِ ما بَنيتُ، ويُمضي أمرُهُ حُكمَ إمرَتي
ولا ضِدّ في الكَونَينِ، والخَلقُ ما ترى بهِمْ للتّساوي من تَفاوُتِ خِلقَتي
ومني بدا لي ما عليّ لَبِسْتُهُ وعني البَوادي بي إليّ أُعيدَتِ
وفيّ شَهِدْتُ السّاجدينَ لمَظهري فحَقّقتُ أني كُنتُ آدمَ سَجدَتي
وعايَنتُ روحانيّةَ الأرَضِينَ، في مَلائِكِ عِلّيّينَ، أكْفاءِ رُتْبَتي[1]
ومن أُفقي الدّاني اجتَدى رِفقيَ الهُدى ومِن فَرْقيَ الثّاني بدا جَمعُ وَحدَتي[2]
وفي صَعْقِ دَكِّ الحِسّ خَرّتْ، إفاقةً ليَ، النّفسُ، قبلَ التّوبَةِ المُوسويّةِ
فلا أينَ بَعدَ العينِ، والسّكْرُ منه قد أفَقْتُ، وعينُ الغينِ بالصّحوِ أصْحَتِ[3]
وآخِرُ مَحْوٍ جاءَ خَتميَ، بعدَهُ كأوّلِ صَحْوٍ، لارْتِسَامِ بِعِدّةِ
وكيفَ دُخولي تحت مِلكي، كأوْلِيا ءِ مُلكي وأتباعي وحزبي وشيعتي
ومأخوذُ محوِ الطَّمسِ، مَحقاً، وزِنْتُه بمَحْذوذِ صَحْوِ الحسّ، فَرْقاً بكِفّةِ[4]
فنقطةُ غينِ الغينِ، عن صَحويَ، انمحتْ ويَقظَةُ عينِ العينِ، مَحويَ، ألْغَتِ
وما فاقِدٌ بالصّحوِ، في المَحوِ واجدٌ لتَلوينِهِ، أهلاً، لِتَمكينِ زُلْفَةِ
تَساوَى النّشاوى والصُّحاةُ لنَعتِهِمْ برَسْمِ حُضورٍ، أو بوَسْمِ حَظيرَةِ
وليَسوا بقَوْمي مَن علَيهِمْ تعاقَبَتْ صِفاتُ التِباسٍ، أو سِماتُ بقيّةِ

(1) **أكفاء**: جمع كفؤ بمعنى النظير المماثل والند.
(2) **الداني**: القريب. **اجتدى**: نال وحاز.
(3) **الأين**: الوقت. **العين الأولى**: ذات الشيء. والثانية كذلك.
(4) **فرقاً**: من المكاييل العظيمة. **الكفة**: أحد طرفي الميزان. **والمحذوذ**: من الحذ بمعنى القطع.

ومَن لم يرِثْ عنّي الكَمالَ، فناقصٌ على عَقِبَيْهِ ناكِصٌ في العُقوبَةِ[1]

وما فيّ ما يُفضِي للَبْسٍ بقيّةٍ ولا فَيءَ لي يَقضي عليّ بَفيئَةِ

وماذا عَسَى يَلْقَى جَنانٌ، وما بهِ يفُوهُ لِسانٌ، بينَ وَحْيٍ وصيغَةِ

تَعانَقَتِ الأطرافُ عنديَ، وانطوى بِساطُ السُّوى، عدلاً، بحُكمِ السويّةِ

وعادَ وُجودي، في فَنا ثَنَوِيّةِ الـ وُجودِ، شُهوداً في بَقَا أحَدِيّةِ

فما فَوْقَ طَوْرِ العَقْلِ أوّلُ فَيضَةٍ كما تحتَ طُورِ النَّقْلِ آخرُ قَبضَةِ

لذلكَ عَن تفضيلِهِ، وهْوَ أهْلُهُ نَهانا، على ذي النونِ، خيرُ البريّةِ[2]

أشَرْتُ بما تُعطي العِبارَةُ، والذي تَغَطّى فقَدْ أوْضَحتُهُ بلَطيفَةِ

ولَيسَ ألَستُ الأمسِ غَيراً لمنْ غدا وجِنحي غدا صُبحي، ويوميَ لَيلَتي

وسِرُّ بَلى، للهِ مِرْآةُ كَشْفِها وإثْباتُ مَعنى الجَمْعِ نَفْيُ المَعِيّةِ

فلا ظُلَمٌ تَغشَى، ولا ظُلمَ يُختَشَى ونِعمةُ نوري أطفأتْ نارَ نَقمَتي

ولا وَقتَ، إلاّ حيثُ لا وقتَ حاسِبٌ وُجودَ وُجودي، مِنْ حِسابِ الأهلّةِ

ومَسجونُ حَصْرِ العَصرِ لم يرَ ما وَرا ءِ سِجّينِهِ، في الجَنّةِ الأبَدِيّةِ

فبي دارَتِ الأفلاكُ، فاعجَبْ لقُطبِها الـ مُحيطِ بها، والقُطبُ مركزُ نُقطَةِ

ولا قُطْبَ قَبلي، عن ثلاثٍ خلَفتُهُ وقُطبِيّةُ الأوتادِ عن بَدَلِيّةِ[3]

فلا تَعدُ خَطّي المُستَقيمَ، فإنّ في الـ زَّوايا خَبايا، فانْتَهِزْ خيرَ فُرصَةِ

فعَنّي بَدا في الذّرّ فيّ الوَلا، وَلي لِبانُ ثُدِيّ الجَمْعِ، منّيَ دَرّتِ

---

(1) **ناكص**: راجع إلى الوراء من خوف.

(2) **ذي النون**: النبي المذكور في القرآن في سورة الكهف.

(3) **القطب والوتد والبدل**: من اصطلاحات مراتب رجال التصوف الكبار الصالحين، ولكل فرقة تحديد خاص لهذه المعاني.

وأعْجَبُ ما فيها شَهِدتُ، فراعَني ومن نَفْثِ رُوحِ القدس، في الرَّوع، رَوعتي[1]

وقد أشهَدتني حُسنَها، فشُدِهتُ عن حِجايَ، ولم أُثبِتْ حِلايَ لدَهشَتي

ذَهَلْتُ بها عنّي، بحَيثُ ظَنَنتُني سِوايَ، ولم أقصِدْ سَواء مَظِنّتي

ودَلّهني فيها ذُهولي، فلم أُفِقْ عَليّ ولم أقْفُ التِماسي بظِنّتي[2]

فأصْبَحْتُ فيها والِهاً لاهياً بِها ومَن وَلّهتْ شُغلاً بها، عنهُ ألهَتِ

وعَن شُغُلي عَنّي شُغِلْتُ، فلَوْ بها قَضَيتُ رَدًى، ما كنتُ أدري بنُقلتي[3]

ومِن مُلَحِ الوَجْدِ المُدلِّهِ في الهوى، الـ مُوَلِّهِ عَقلي، سَبْيُ سَلْبٍ كغَفلَتي[4]

أُسائِلُها عَنّي، إذا ما لَقيتُها ومِن حَيثُ أهدَتْ لي هُداي أضَلّتِ

وأطْلُبُها منّي، وعِندِيَ لم تَزَلْ عجبتُ لها بي كيفَ عني استَجَنّتِ[5]

وما زِلْتُ في نَفسي بها مُتَرَدّداً لنَشوَةِ حِسّي، والمحاسِنُ خمْرَتي

أُسافِرُ عن عِلْمِ اليَقينِ لِعَيْنِهِ إلى حقّهِ، حَيثُ الحَقيقةُ رِحْلتي

وأنشُدُني عنّي، لأُرْشِدَني، على لساني، إلى مُستَرْشدي عندَ نَشْدَتي[6]

وأسأَلُني رَفْعي الحِجابَ بكَشفيَ الـ نِّقابَ، وبي كانَتْ إليّ وسيلَتي

وأنظُرُ في مِرآةِ حُسنيَ كي أرَى جَمال وُجودي، في شُهوديَ طَلْعتي

---

(1) **النفث**: الحديث الذي يلقيه الملك بالوحي هنا. **الروع**: الخوف.

(2) **دله**: حيَّر. **الظنة**: المظنة والظن. **لم أقف**: لم أتتبع.

(3) **الردى**: الهلاك. **النقلة**: الانتقال إلى الحياة الأخرى هنا.

(4) **الملح**: واحدها ملحة بضم أوله؛ لما يستطيبه السامع من الحديث. **السلب**: النفي عكس الإيجاب.

(٥) **استجنت**: استترت.

(6) **أنشدني**: أبحث عن نفسي. **النشدة**: مصدر مرة من نشد الضالة ينشدها إذا بحث عنها طالباً إيجادها.

فإنْ فُهتُ باسْمي أُصْغِ نحوي، تشوّقاً إلى مُسمِعي ذِكري بنُطقي، وأُنصِتِ

وأُلصِقُ بالأحشاءِ كَفّي عَسايَ أنْ أُعانِقَها في وَضْعِها، عندَ ضَمّتي

وأهْفُو لأنْفاسي لعَلّيَ واجِدي بِها، مُستَجيزاً أنّها بيَ مَرّتِ

إلى أنْ بَدا مِنّي، لِعَينيَ، بارِقٌ وبان سنا فَجري، وبانتْ دُجُنّتي[1]

هناكَ، إلى ما أحجَمَ العَقلُ دونَهُ وَصَلْتُ، وبي منّي اتّصالي ووُصْلتي

فأسفَرْتُ بِشراً، إذ بَلَغْتُ إليّ عن يَقينٍ، يَقيني شدَّ رَحلِ لِسَفرَتي

وأرْشَدْتَني، إذ كنتُ عني ناشدي إليّ، ونفسي بي عليّ دَليلَتي

وأستارُ لَبْسِ الحِسّ، لما كَشَفتُها وكانتْ لها أسرارُ حُكميَ أرْخَتِ

رَفَعتُ حِجابَ النّفسِ عنها بكَشفيَ الـ نّقابَ، فكانتْ عن سؤالي مُجيبتي

وكُنتُ جِلا مِرآةِ ذاتيَ مِن صَدا صِفاتي، ومني أُحدِقتْ بأشِعّةِ[2]

وأشهَدْتُني إيّايَ، إذ لا سِوايَ، في شُهوديَ، موجودٌ، فيَقضِي بزَحمةِ

وأسمَعُني في ذكريَ اسميَ ذاكري ونفسي بنَفْيِ الحسّ أصغَتْ وأسمَتِ[3]

وعانَقْتُني، لا بالتزامِ جَوارحي الـ جوانِحَ، لكِنّي اعتَنَقْتُ هُوِيّتي[4]

وأوجَدْتُني روحي، وروحُ تَنفّسِي يُعَطّرُ أنفاسَ العبيرِ المُفَتَّتِ

وعن شِرْكِ وَصْفِ الحسّ كُلّي منزَّه وفيَّ، وقد وَحّدْتُ ذاتيَ، نُزْهتي

ومَدْحُ صِفاتي بي يُوَفّقُ مادِحي لحَمْدي، ومَدْحي بالصّفاتِ مذَمّتي

---

(1) **الدجنة**: حلك الظلام.

(2) **جلا**: مخففة عن جلاء بالكسر؛ وهي في المصقولات لتلميعها وإزالة خشونة سطوحها. **صدا**: صدأ، مخففاً. **أحدقت**: أحيطت.

(3) **أسمت**: جعلت له اسماً.

(4) **عانقتني**: عانقت نفسي، وكذلك كل ضمائر هذه القصيدة.

فشاهِدُ وصْفي بي جليسي، وشاهدي ... به، لاحتِجابي، لن يَحِلَّ بحِلّتي

وبي ذِكْرُ أسمائي تيَقّظُ رُؤيَةٍ ... وذِكري بها رُؤيا تَوَسُّنِ هجْعتي[1]

كذاكَ بِفِعلي عارِفي بيَ جاهلٌ ... وعارِفُهُ بي عارِفٌ بالحقيقَةِ

فخُذْ عِلْمَ أعْلام الصّفاتِ بظاهِرِ الـ ... ـمَعالِم، مِنْ نَفسٍ بذاكَ عليمَةِ

وفَهْمُ أسامي الذّاتِ عنها بباطِنِ الـ ... ـعَوالِم، من روحٍ بذاكَ مُشيرَةِ

ظُهورُ صِفاتي عن أسامي جَوارحي ... مجازاً بها للحكمِ، نفسي تَسَمّتِ

رُقُومُ عُلُومٍ في سُتُورِ هياكِلٍ ... على ما وراءَ الحسّ، في النّفسِ وَرَّتِ[2]

وأسماءُ ذاتي عن صِفاتِ جوانحي ... جَوازاً لأسرارٍ بها، الرّوحُ، سُرّتِ

رموزُ كُنُوزٍ عَن مَعاني إشارَةٍ ... بمَكْنُونِ ما تُخفي السّرائرُ حُفّتِ

وآثارُها في العالمينَ بِعِلْمِها ... وعنها بها الأكوانُ غيرُ غَنيّةِ

وُجودُ اقتِنا ذِكْرٍ، بأيْدِ تحَكّمٍ ... شُهودُ اجتِنا شُكْرٍ بأيْدٍ عَميمَةِ

مظاهِرُ لي فيها بدَوْتُ، ولم أكُنْ ... عَلَيّ بِخافٍ، قبلَ مَوطِنِ بَرْزتي

فلَفْظٌ، وكُلّي بي لِسانٌ مُحَدِّثٌ ... ولحظٌ، وكُلّي فيّ عَينٌ لِعَبرَتي

وسَمْعٌ، وكُلّي بالنّدى أسمعُ النّدا ... وكُلّيَ في رَدّ الرّدى يدُ قُوّةٍ[3]

معاني صِفاتٍ، ما ورا اللّبسِ أثبتَتْ ... وأسماءُ ذاتٍ، ما رَوى الحسُّ بَثّتِ

فتَصْرِفُها مِنْ حافِظِ العَهْدِ أوّلاً ... بنَفسٍ، عليها بالوَلاءِ، حفيظَةِ

---

(1) **التوسن**: من الوسن؛ النوم. **الهجعة**: الرقدة في نوم.

(2) **رقوم**: جمع رقم؛ وهو الرسم في الأصل، وأراد هنا حواس الإنسان. **وَرَّت**: من التورية، وقد مضت.

(3) **الندى**: الكرم. **الندا**: النداء مخففة.

شوادي مُباهاةٍ، هوادي تَنَبُّهٍ ... بوادي فُكاهاتٍ، غوادي رَجِيَّةِ[1]

وتوقيفُها من مَوثِقِ العَهدِ آخراً ... بنفسٍ، على عِزِّ الإباءِ، أبيَّةِ

جواهرُ أنباءٍ، زواهرُ وُصْلَةٍ ... طواهرُ أبناءٍ، قواهرُ صَولَةِ[2]

وتَعرِفُها مِن قاصِدِ الحَزْمِ، ظاهِراً ... سَجِيَّةُ نَفْسٍ، بالوجودِ، سخيَّةِ

مَثاني مُناجاةٍ، معاني نَباهَةٍ ... مَغاني مُحاجاةٍ، مَباني قَضيَّةِ

وتَشريفُها مِن صادِقِ العزمِ، باطناً ... إنابَةُ نفسٍ، بالشهودِ، رضيَّةِ

نجائِبُ آيات، غرائِبُ نُزهَةٍ ... رغائبُ غاياتٍ، كتائِبُ نَجْدَةِ

فللَّبْسِ منها بالتَّعَلّقِ في مقا ... مِ الإسلامِ، عن أحكامِهِ الحِكَميَّةِ

عَقائقُ إحكامٍ، دقائقُ حِكْمَةٍ ... حَقائِقُ إحكامٍ، رَقائِقُ بَسْطَةِ

ولِلْحِسّ منها بالتحقّقِ في مقا ... مِ الإيمانِ، عن أعْلامِهِ العَمليّةِ

صوامِعُ أذكارٍ، لوامعُ فِكْرَةٍ ... جوامِعُ آثارٍ، قوامِعُ عِزَّةِ

وللنّفسِ مِنها، بالتّخلّقِ، في مَقا ... مِ الإحسانِ عن أنبائِهِ النّبَويّةِ

لطائِفُ أخبارٍ، وظائِفُ مِنحَةٍ ... صحائِفُ أحبارٍ، خلائِفُ حِسْبَةِ

وللجَمْعِ مِن مَبْدا، كأنّك وانتهى ... فإن لم تكُنْ عن آيَةِ النّظريّةِ

غُيُوثُ انفِعالاتٍ، بُعوثُ تَنَزّهٍ ... حُدوثُ اتّصالاتٍ، لُيوثُ كتيبَةِ

---

(1) **شوادي**: جمع شادية؛ أي التي تترنم بالألحان كالشادي معنى **المباهاة**: المفاخرة. **الهوادي**: جمع هادية؛ وهي تكون أوائل القطيع. **بوادي**: جمع بادية؛ وهي كل ظاهرة. **الفكاهات**: جمع فكاهة؛ لما يتفكه به ويستظرف. **الغوادي**: جمع غادية؛ وهي في الأصل للسحابة التي تأتي صباحاً. **الرجية**: ما يرجى ويطلب.

(2) **جواهر**: جمع جوهرة. **الزواهر**: جمع زاهرة؛ وهي المشرقة المتلألئة. **الوصلة**: ما يتوصل به إلى الشيء.

فمرجِعُها للحِسّ، في عالمِ الشّها ... دَةِ المُجتدي، ما النّفسُ مني أحسّتِ

فُصولُ عِباراتٍ، وُصولُ تحيّةٍ ... حُصولُ إشاراتٍ، أُصولُ عطيّةِ

ومَطلِعُها في عالَمِ الغيْبِ ما وَجَدْ ... تُ مِنْ نِعَمٍ مني، عليّ استَجدّتِ

بشائِرُ إقرارٍ، بَصائِرُ عِبرَةٍ ... سرائرُ آثارٍ، ذخائرُ دَعْوَةِ

ومَوضِعُها في عالمِ المَلَكوتِ ما ... خُصِصْتُ من الإسرَا به، دونَ أسرَتي

مدارِسُ تنزيلٍ، مَحارِسُ غِبطَةٍ ... مَغارِسُ تأويلٍ، فَوارِسُ مِنعَةِ

وموقِعُها مِن عالَمِ الجَبروتِ مِن ... مشارِقِ فتحٍ، للبَصائِرِ مُبْهِتِ

أرائِكُ توحيدٍ، مدارِكُ زُلْفَةٍ ... مسالِكُ تمجيدٍ، ملائِكُ نُصْرَةِ

ومنبَعُها بالفَيضِ، في كلّ عالَمٍ ... لِفاقَةِ نَفسٍ، بالإفاقَةِ أثْرَتِ

فوائِدُ إلهامٍ، روائِدُ نِعمَةٍ ... عوائِدُ إنْعامٍ، موائِدُ نِعمَةِ

ويجري بما تُعطي الطّريقةُ سائِري ... على نَهجِ ما مِني، الحقيقةُ أعطَتِ

ولمّا شَعَبْتُ الصّدْعَ، والتأمَتْ فُطو ... رُ شَملٍ بفَرْقِ الوَصْفِ، غيرِ مُشتّتِ(1)

ولم يَبقَ ما بيني وبينَ توَثّقي ... بإيناسِ وُدّي، ما يُؤدّي لِوَحْشةِ

تحققتُ أنّا، في الحقيقةِ، واحِدٌ ... وأثبَتَ صَحْوُ الجَمعِ مَحْوَ التّشَتّتِ

وكُلّي لِسانٌ ناظِرٌ، مِسمَعٌ، يَدٌ ... لنُطقٍ، وإدراكٍ، وَسَمعٍ، وبَطشَةِ

فعَينيَ ناجَتْ، واللّسانُ مُشاهِدٌ ... ويَنطِقُ مني السّمْعُ، واليَدُ أصْغتِ

وسَمعيَ عَينٌ تجتَلي كُلَّ ما بدا ... وعَينيَ سَمعٌ، إن شدا القومُ تُنصِتِ

ومِنيَ، عن أيدٍ، لِساني يَدٌ، كما ... يَدي لي لسانٌ في خطابي وخُطبَتي

كذاكَ يَدي عَينٌ ترَى كُلّ ما بَدا ... وعيني يَدٌ مَبسوطَةٌ عِندَ بَسطَتي

---

(1) **شعب الصدع**: إذا لأم الشق. **الفطور**: الشقوق.

وسَمعي لِسانٌ في مُخاطبَتي، كذا لساني، في إصغائِهِ، سَمْعُ مُنصِتِ

وللشّمّ أحكامُ اطّرادِ القياسِ في اتّـ حادِ صِفاتي، أو بعَكْسِ القضيّةِ

وما فيّ عُضوٌ خُصّ، من دونِ غيرِهِ بتَعيينِ وَصْفٍ مِثْلَ عَينِ البَصِيرَةِ

ومِني، على أفرادها، كُلُّ ذَرّةٍ جوامِعُ أفعالِ الجوارِحِ أحصّتِ

يُناجي ويُصغي عن شُهودِ مُصرَّفٍ بمجموعِهِ في الحالِ عن يَدِ قُدرَةِ

فأتلُو عُلومَ العالِمينَ بِلَفْظَةٍ وأجْلو عليّ العالمين بِلَحْظَةِ

وأسْمَعُ أصواتَ الدّعاةِ وسائِرِ الـ لّغاتِ بوَقْتٍ، دونَ مِقدارِ لَمحَةِ

وأُحضِرُ ما قد عَزّ، للبُعدِ، حَمْلُهُ ولم يَرْتَدِدْ طرفي إليّ بغَمضَةِ

وأنشَقُ أرواحَ الجِنانِ، وعَرْفَ ما يُصافِحُ أذيالَ الرّياحِ بنَسمَةِ

وأستَعرِضُ الآفاقَ نحوي بخَطْرَةٍ وأختَرِقُ السّبْعَ الطّباقَ بخَطوَةِ[1]

وأشباحُ مَنْ لمْ تَبقَ فِيهِمْ بَقيّةٌ لجَمعيَ، كالأرواحِ حَفّتْ، فَخَفّتِ

فمَن قال، أو مَن طال، أو صال، إنما يمُتّ بإمدادي لهُ برَقيقَةِ

وما سارَ فوقَ الماءِ، أو طارَ في الهوا أوِ اقتَحَمَ النّيرانَ، إلاّ بهِمّتي

وَعَنّيَ مَنْ أمْدَدْتُهُ برَقيقَةٍ تَصَرّفَ عن مَجموعِهِ في دقيقَةِ

وفي ساعةٍ، أو دون ذلك، مَن تلا بمَجموعِهِ جَمعي تَلا ألفَ خَتْمَةِ

ومِنّيَ، لو قامَتْ، بمَيْتٍ، لطيفةٌ لَرُدّتْ إليهِ نفسُهُ، وأُعيدَتِ

هيَ النّفسُ، إن ألقَتْ هواها تضاعفتْ قُواها، وأعطَتْ فِعلَها كُلّ ذرّةِ

وناهيكَ جَمعاً، لا بفَرْقِ مساحتَيْ مكانٍ مَقيسٍ أوْ زمانٍ موقّتِ

بذاك عَلا الطّوفانَ نوحٌ، وقد نَجا به مَن نجا من قَومِهِ في السّفينَةِ

---

(1) **السبع الطباق**: السماوات السبع التي تكون طبقة فوق طبقة.

وغاضَ لَهُ ما فاضَ عنهُ، استِجادَةً ... وجدَّ إلى الجُوديِ بها، واستَقَرّتِ
وسارَ، ومتنُ الرّيح تحتَ بِساطِهِ ... سُلَيمانُ بالجَيْشَينِ، فوْقَ البسيطةِ
وقبلَ ارتِدادِ الطّرْفِ أُحضِرَ مِنْ سَبَا ... لهُ عَرْشُ بلقيسٍ، بغَيرِ مشَقّةِ[1]
وأخْمَدَ إبْراهيمُ نارَ عدُوّهِ ... وعَنْ نُورِهِ عادَتْ لهُ رَوْضَ جنّةِ
ولمّا دَعا الأطيارَ مِن كُلّ شاهِقٍ ... وقد ذُبِحَتْ، جاءَتْهُ غيرَ عَصِيّةِ
ومن يدِهِ موسى عَصاهُ تَلَقّفَتْ ... من السّحرِ، أهوالاً على النّفسِ شقّتِ
ومِن حَجَرٍ أجرى عيوناً بضَرْبَةٍ ... بها دِيَماً، سَقّتْ، وللبَحرِ شَقّتِ[2]
ويُوسُفُ، إذ ألقى البَشيرُ قَميصَهُ ... على وَجْهِ يَعقُوبٍ، علَيهِ بأوْبَةِ
رآهُ بعَيْنٍ، قبلَ مَقدَمِهِ بَكَى ... عليهِ بها، شوقاً إليه، فكُفّتِ
وفي آلِ إسْرائيلَ مائِدَةٌ مِنَ الـ ... سّماءِ لعيسَى، أُنزِلَتْ ثمّ مُدّتِ
ومِنْ أكْمَهٍ أبْرا، ومِن وضَحٍ عدا ... شَفى، وأعادَ الطّينَ طَيراً بنَفْخَةِ[3]
وسِرُّ انفِعالاتِ الظّواهرِ، باطِناً ... عن الإذنِ، ما ألقَتْ بأُذنكَ صيغتي
وجاءَ بأسْرارِ الجَميعِ مُفيضُها ... علَيْنا، لهم خَتْماً على حينِ فَتْرَةِ[4]
وما مِنْهُمُ، إلاّ وقد كانَ داعِياً ... بهِ قومَهُ للحَقّ، عن تَبَعِيّةِ
فعالِمُنا مِنهُمْ نَبيٌّ، ومَن دَعا ... إلى الحقّ مِنّا قامَ بالرُّسُلِيّةِ
وعارِفُنا، في وَقتِنا، الأحمَديُّ مَن ... أُولي العَزْمِ منهُمْ آخِذٌ بالعَزيمَةِ

---

(1) **سبا**: مخفف سبأ؛ لمكان في اليمن.
(2) **سقت**: بالتشديد للمبالغة من سقى.
(3) **أبرا**: مخفف أبرأ، من البرء: الشفاء. **الوضح**: البرص. **عدا**: من العدوان أي ظلم.
(4) **المفيض**: من أفاض يفيض. **الفترة**: هي الزمان الكائن بين ضياع رسالة نبي وبعث رسالة نبي آخر.

وما كان منهُمْ مُعجِزاً، صارَ بعدَه كَرامَةَ صِدّيقٍ لَهُ، أوْ خليفَةِ
بعِترَتِهِ استَغنَتْ عنِ الرّسْلِ الورى وأصْحابِهِ والتّابِعينَ الأئِمّةِ
كَراماتُهُمْ من بَعضِ ما خَصّهُم به بما خَصّهُمْ مِنْ إرْثِ كُلّ فَضيلَةِ
فمِنْ نُصرَةِ الدّينِ الحَنيفيّ، بَعدَه قِتالُ أبي بكْرٍ، لآلِ حنيفَةِ
وسارِيَةٌ، ألْجاهُ للجَبَلِ النّدا ءُ مِن عُمَرٍ، والدّارُ غيرُ قَريبَةِ[1]
ولم يَشتَغِلْ عُثمانُ عَن وِرْدِهِ، وقد أدارَ عَليهِ القَومُ كأسَ المَنيّةِ
وأوْضَحَ بالتّأويلِ ما كان مُشكِلاً عليّ، بِعِلْمٍ نالَهُ بالوَصِيّةِ[2]
وسائِرُهُمْ مِثلُ النّجومِ، مَن اقتدى بأيّهِم منهُ اهتَدى بالنّصيحَةِ
وللأولياءِ المؤمِنينَ بِه، ولَمْ يَروهُ اجتِنا قُرْبٍ لقُرْبِ الأخُوّةِ
وقُرْبُهُمُ مَعنًى له، كاشْتِياقِهِ لهمْ صورَةً، فاعجَبْ لحَضرةِ غيبَةِ
وأهلٌ تلَقّى الروّحَ باسْمي، دَعَوْا إلى سَبيلي، وحَجّوا المُلحِدينَ بحُجّتي
وكُلّهُمُ، عَن سَبْقِ مَعنايَ، دائِرٌ بدائرَتي، أو وارِدٌ مِن شريعتي
وإنّي، وإن كنتُ ابنَ آدمَ، صورَةً فَلي فيهِ مَعنًى شاهدٌ بأُبُوّتي
ونَفسي على حَجْرِ التّجَلّي، برُشدها تجَلّتْ، وفي حِجرِ التّجَلّي تَرَبّتِ
وفي المَهْدِ حِزْبي الأنبياءُ، وفي عنا صري لَوحيَ المَحفوظُ، والفتحُ سورتي
وقبلَ فِصالي، دونَ تكليفِ ظاهري خَتَمتُ بشَرْعي الموضِحي كلّ شِرْعةِ

---

(1) **سارية**: اسم رجل؛ يشير إلى قصة عمر المشهورة على المنبر حين قال فجأة وهو يخطب: يا ساريةُ، الجبلَ... وعد هذا من كرامات عمر، لأن سارية هذا كان في الجيش الغازي على مراحل وأيام طوال، فألهم هذا القول ليحترز الجيش من العدو، برغم أنه لم يكن معهم.

(2) **التأويل**: بيان المراد بالمعنى، كما أن التفسير بيان المراد باللفظ.

فهُمْ والأُلى قالوا بقَولِهِم على ... صِراطي، لم يَعدوا مواطىء مِشيَتي
فَيُمْنُ الدّعاةِ السّابقينَ إليّ في ... يَميني، ويُسْرُ اللاّحِقينَ بِيَسرَتي[1]
ولا تَحْسَبَنّ الأمرَ عنّيَ خارِجاً ... فما سَادَ إلاّ داخِلٌ في عُبُودَتي
ولولايَ لم يُوجدْ وُجودٌ، ولم يَكُنْ ... شُهُودٌ، ولم تُعهَدْ عُهُودٌ بذِمّةِ
فلا حيٌّ، إلاّ مِنْ حَياتي حَياتُهُ ... وطَوْعُ مُرادي كُلّ نَفسٍ مُريَدةِ
ولا قائِلٌ، إلاّ بلَفظي مُحَدِّثٌ ... ولا ناظِرٌ إلاّ بناظِرِ مُقلَتي
ولا مُنصِتٌ، إلاّ بسَمَعيَ سامِعٌ ... ولا باطِشٌ إلاّ بأزْلي وشِدّتي[2]
ولا ناطِقٌ غَيري، ولا ناظِرٌ، ولا ... سميعٌ سِوائي مِن جميعِ الخليقَةِ
وفي عالَمِ التّركيبِ، في كلّ صُورَةٍ ... ظَهَرْتُ بِمَعنًى، عنهُ بالحسنِ زينَتِ
وفي كلّ مَعنًى، لم تُبِنْهُ مَظاهِري ... تَصَوّرْتُ لا في صورةٍ هيكليّةِ
وفيما تَراهُ الرّوحُ كَشفَ فَراسةٍ ... خَفيتُ عَنِ المَعنى المُعَنّى بِدِقّةِ
وفي رَحَموتِ البَسطِ، كُلّيَ رَغبَةٌ ... بها انبَسطَتْ آمالُ أهلِ بَسيطتي
وفي رَهَبوتِ القبضِ، كُلّيَ هَيبَةٌ ... ففيما أجَلْتُ العَينَ منّي أجَلّتِ
وفي الجمعِ بالوَصفَينِ، كُلّيَ قُرْبَةٌ ... فحَيَّ على قُربَى خِلالي الجميلةِ
وفي مُنتَهَى في، لم أزَلْ بيَ واجِداً ... جَلالَ شُهُودي، عن كَمالِ سجيّتي
وفي حيثُ لا في، لم أزَلْ فيّ شاهِداً ... جَمالَ وُجودي، لا بناظِرِ مُقلتي
فإن كُنتَ منّي، فانْحُ جَمعيَ وامْحُ فَرْ ... قَ صَدْعي، ولا تجنَحْ لجنحِ الطبيعةِ
فدونَكَها آياتِ إلهامِ حِكمَةٍ ... لأوهامِ حَدسِ الحسّ، عنكَ، مزيلةِ

---

(1) **اليمن**: البركة. **واليمنة**: خلاف اليسرة من الاتجاهات.
(2) **الأزل**، بإسكان الوسط بعد فتح: الشدة والضيق.

ومِنْ قائلٍ بالنّسخِ، والمَسخُ واقِعٌ ... بـهِ، ابْرأ، وكُنْ عمّا يراهُ بعُزلَةِ

ودَعْهُ ودعوى الفسخِ، والرَّسخُ لائقٌ ... بهِ، أبداً، لو صَحّ في كلّ دورَةِ[1]

وضَرْبي لكَ الأمثالَ، مِنّيَ مِنّةٌ ... عليكَ بشأني، مَرّةً بعدَ مَرّةِ

تأمّلْ مقاماتِ السَّرُوجيّ، واعتَبِرْ ... بتَلوينِهِ تَحْمَدْ قَبولَ مَشورَتي[2]

وتَدرِ التِباسَ النّفسِ بالحِسّ، باطناً، ... بمَظهَرِها في كلّ شكلٍ وصورَةِ

وفي قَوْلِهِ إنْ مانَ فالحَقّ ضارِبٌ ... بهِ مَثَلاً والنّفسُ غيرُ مُجِدّةِ

فكُنْ فَطِناً، وانظُرْ بحِسّكَ، مُنصِفاً ... لِنَفْسِكَ في أفعالِكَ الأثَرِيّةِ

وشاهدْ، إذا استجلَيتَ نفسكَ ما ترَى ... بغيرِ مِراءٍ، في المرائي الصّقيلَةِ

أغَيرُكَ فيها لاحَ، أمْ أنتَ ناظِرٌ ... إليكَ بها، عندَ انعِكاسِ الأشِعّةِ

وأصْغِ لرَجعِ الصّوتِ، عندَ انقِطاعِهِ ... إليكَ، بأكنافِ القُصورِ المَشيدَةِ

أهَل كانَ مَن ناجاكَ، ثَمّ، سِواكَ، أم ... سَمِعتَ خِطاباً عن صَداكَ المُصَوّتِ

وقُل ليَ: مَن ألقى إليكَ عُلومَهُ ... وقد رَكَدتْ منكَ الحواسُ بغَفوَةِ

وما كنتَ تَدري، قبل يومكَ، ما جرَى ... بأمسِكَ، أو ما سوْفَ يجري بغُدوَةِ

فأصْبَحتَ ذا عِلْمٍ بأخبارِ مَن مَضَى ... وأسرارِ من يأتي، مُدِلاً بخِبرَةِ[3]

أتحسبُ مَن جاراكَ، في سِنةِ الكَرَى ... سِواكَ بأنواعِ العُلومِ الجليلَةِ

وما هيَ إلاّ النفسُ، عندَ اشتِغالها ... بعالَمِها، عن مَظهَرِ البَشَرِيّةِ

---

(1) **الرسخ**: اصطلاح كالنسخ بمعنى التناسخ، والمسخ؛ ويراد به عند الحكماء انتقال النفس الناطقة من بدن إنسان إلى نبات. **والفسخ**: انتقالها إلى جماد كالحجر مثلاً.

(2) **السروجي**: أبو زيد بطل مقامات الحريري المعروفة، وكان أديباً بارعاً يتلون في احتياله على الناس لاستدرار نقودهم ألواناً متعددة.

(3) **مدلاً**: أي ذو جرأة واعتداد بالنفس.

تجَلّتْ لها بالغَيْبِ في شَكلِ عالِمٍ ... هَداها إلى فَهْمِ المَعاني الغَريبَةِ

وقد طُبِعَتْ فيها العُلُومُ، وأُعلِنَتْ ... بأسمائِها، قِدْماً، بوَحْيِ الأبُوّةِ

وبالعِلْمِ مِن فوقِ السّوَى ما تنعمتْ ... ولكنْ بما أملَتْ عَلَيها تَمَلّتِ

ولو أنّها، قبلَ المَنامِ، تجَرّدَتْ ... لشاهَدْتَها مِثْلي، بِعَينٍ صَحيحَةِ

وتجريدُها العاديُّ أثبَتَ، أوّلاً ... تجَرّدَها الثّاني المَعادي، فأثْبِتِ

ولا تَكُ مِمّنْ طَيّشَتْهُ دُرُوسُهُ ... بحَيْثُ اسْتَقَلّتْ عَقْلَهُ، واستقرّتِ

فثَمّ، وراء النّقلِ، عِلْمٌ يَدِقّ عن ... مَدارِكِ غاياتِ العُقُولِ السّليمَةِ

تلَقّيتُهُ مِنّي، وعنّي أخَذْتُهُ ... ونَفسِيَ كانتْ، من عَطائي، مُمِدّتي

ولا تكُ باللاّهي عنِ اللّهوِ جُمْلَةً ... فهَزْلُ المَلاهي جِدُّ نَفْسٍ مُجدّةِ

وإيّاكَ والإعراضَ عن كلّ صورَةٍ ... مُمَوَّهَةٍ، أو حالَةٍ مُستَحيلَةِ

فطَيفُ خَيالِ الظّلّ يُهدي إليكَ، في ... كَرَى الّهوِ، ما عنهُ السّتائرُ شُقّتِ

تُرى صورَةَ الأشياءِ تُجلى عليكَ، من ... وراءِ حِجابِ اللّبسِ، في كلّ خِلعَةِ

تجَمّعَتِ الأضدادُ فيها لحِكمَةٍ ... فأشكالُها تَبدو على كلّ هَيئَةِ

صَوامتُ تُبدي النّطقَ، وهيَ سواكنٌ ... تحرّكُ، تُهدي النّورَ، غيرَ ضَويّةِ[1]

وتَضحَكُ إعجاباً، كأجذَلَ فارِحٍ ... وتَبكي انتِحاباً، مثلَ ثَكلى حزينَةِ[2]

وتَندُبُ. إنْ أنّتْ على سلبِ نِعمةٍ ... وتَطرَبُ، إن غَنّتْ على طيبِ نَغْمةِ

يرى الطّيرَ في الأغصانِ يُطرِبُ سَجعُها ... بتَغريدِ ألحانٍ، لدَيكَ، شجيّةِ

وتَعجَبُ من أصواتِها بلُغاتِها ... وقد أعرَبَتْ عَنْ ألسُنٍ أعجَميّةِ

---

(1) **ضوية**: مخففة من ضوئية أي منيرة.

(2) **أجذل**: الذي به جذل أي فرح شديد. **وفارح**: صفته.

وفي البَرّ تَسرِي العِيسُ، تخترِقُ الفلا وفي البحر تجري الفُلكُ في وَسطِ لُجّةِ

وتَنظُرُ للجَيشَينِ في البَرّ، مَرّةً وفي البَحرِ، أُخرَى، في جموعٍ كثيرةِ

لِباسُهُمُ نَسجُ الحَديدِ لِبأسِهِمْ وهُمْ في حِمى حَدّيْ: ظُبًى وأسنّةِ

فأجنادُ جَيشِ البَرّ، ما بينَ فارِسٍ على فَرسٍ، أوْ راجلٍ، رَبِّ رِجلَةِ

وأكنادُ جَيشِ البحرِ: ما بينَ راكبٍ مَطا مَركَبٍ، أو صاعِدٍ، مثلَ صَعدةِ[1]

فمِن ضارِبٍ بالبِيضِ، فتكاً، وطاعِنٍ بِسُمْرِ القَنا العَسّالَةِ السَّمْهَرِيّةِ

ومِن مُغرَقٍ في النّارِ، رَشقاً بأسهُمٍ ومِنْ مُحرِقٍ بالماءِ، زَرْقاً بشُعلَةِ[2]

تَرى ذا مُغيراً، باذِلاً نَفسَهُ، وذا يُوَلّي كَسيراً، تحتَ ذُلّ الهَزيمَةِ

وتَشْهَدُ رَمْيَ المَنجَنيقِ، ونَصْبَهُ لِهَدْمِ الصَّياصي، والحُصونِ المَنيعةِ

وَتلحَظُ أشباحاً، تَراءى بأنْفُسٍ مُجَرّدَةٍ، في أرضِها، مُستَجِنّةِ

تُبايِنُ أُنْسَ الإنسِ صورَةُ لَبْسِها لوَحْشَتِها، والجِنُّ غيرُ أنيسَةِ

وتَطرَحُ في النّهرِ الشِّباكَ، فتُخرِجُ الـ سّماكَ يَدُ الصّيّادِ منها، بِسُرْعَةِ

ويحتالُ، بالأشراكِ، ناصِبُها على وقوعِ خِماصِ الطّيرِ فيها بحَبّةِ[3]

ويَكسِرُ سُفنَ اليَمّ ضاري دوابِهِ وتَظفَرُ آسادُ الشّرَى بالفَريسَةِ

ويصطادُ بعضُ الطّيرِ بعضاً من الفضا ويَقنِصُ بعضُ الوَحشِ بَعضاً بقَفرَةِ

وتَلمَحُ منها ما تخَطّيتُ ذِكْرَهُ ولم أعتَمِدْ إلاّ على خَيرِ مُلْحَةِ

وفي الزّمَنِ الفرْدِ اعتَبِرْ تَلقَ كلّ ما بدا لكَ، لا في مُدّةٍ مُستَطيلَةِ

(1) **الأكناد**: مفردها كند؛ أي الشديد الشراسة. **المطا**: الظهر. **الصعدة**: الروح القصير. **والعسالة**: المضطربة. والسمهرية من صفات الرماح في البيت الذي يليه.

(2) **زرقاً**: رمياً.

(3) **خماص**: جمع خميص، للطاوي البطن الجائع.

وكُلُّ الذي شاهَدْتُهُ فِعلُ واحِدٍ   بِمُفْرَدِهِ، لكن بحُجْبِ الأكِنَّةِ
إذا ما أزالَ السِّتْرَ لم تَرَ غَيرَهُ   ولم يَبقَ، بالأشكالِ، إشكالُ ريبةِ
وحَقّقتَ، عندَ الكشفِ، أنّ بنورِه اهْ   تَدَيتَ، إلى أفعالِهِ، بالدُّجُنّةِ
كذا كنتُ، ما بيني وبَينيَ، مُسبِلاً   حِجابَ التباسِ النّفسِ، في نورِ ظلمةِ
لأظهَرَ بالتّدريجِ، للحِسِّ مُؤْنِساً   لها، في ابتِداعي، دُفعَةً بعدَ دُفعَةِ
قَرَنْتُ بجِدّي لَهوَ ذاكَ، مُقَرِّباً   لِفَهْمِكَ، غاياتِ المَرامي البَعيدَةِ
ويجمَعُنا، في المَظهَرَينِ، تَشابُهٌ   وليستْ، لحالي، حالُهُ بشَبيهَةِ
فأشكالُهُ، كانَتْ مَظاهِرَ فِعْلِهِ   بِسِتْرٍ تلاشَتْ، إذ تجَلّى، وَوَلّتِ
وكانتْ لهُ، بالفِعلِ، نفسي شبيهةً   وحِسّيَ كالإشكال، واللُّبْسُ سُترَتي
فلَمّا رَفَعتُ السّترَ عنّي، كرَفْعِهِ   بحيثُ بدَتْ لي النَّفسُ من غيرِ حُجَّةِ
وقد طَلَعَتْ شمسُ الشّهودِ، فأشرَقَ الْ   وجودُ، وحَلّتْ بي عُقودُ أخِيّةِ[1]
قتَلتُ غُلامَ النّفسِ بينَ إقامتي الْ   جِدارَ لأحكامي، وخَرْقِ سفينَتي
وعُدْتُ بإمدادي على كلّ عالِمٍ   على حَسَبِ الأفعالِ، في كلّ مُدّةِ
ولولا احتجابي بالصّفاتِ، لأُحرِقَتْ   مَظاهِرُ ذاتي، مِن سَناءِ سجيّتي[2]
وألسِنَةُ الأكوانِ، إن كُنتَ واعِياً   شُهودٌ بتَوحيدي، بحالٍ فصيحَةِ
وجاءَ حَديثٌ، في اتّحاديَ، ثابتٌ   روايتُهُ في النّقلِ غيرُ ضعيفَةِ
يُشيرُ بحُبّ الحقّ، بعدَ تقرّبٍ   إلَيهِ بنَقلٍ، أو أداءِ فريضَةِ
وموضِعُ تَنبيهِ الإشارَةِ ظاهِرٌ:   بِكُنْتُ لهُ سَمْعاً، كَنُورِ الظّهيرَةِ

---

(1) **الأخية**: ما تشد به الدواب، وقد مرت. والمراد هنا الحرمة والذمام.
(2) **السناء**: النور. **السجية**: الطبيعة، والتركيز على اللفظ له مقاصد.

تَسَبَّبتُ في التّوحيدِ، حتى وَجَدتُهُ ... وواسِطَةُ الأسبابِ إحْدَى أدلّتي

ووَحّدْتُ في الأسبابِ، حتى فقدتُها ... ورابطَةُ التّوحيدِ أجْدَى وسيلَةِ

وجرّدتُ نَفسي عنهما، فتجَرّدَتْ ... ولم تَكُ يوماً قَطّ غيرَ وحيدَةِ

وغُصْتُ بحارَ الجمعِ، بل خُضتُها على انْـ ... ـفِرادِيَ، فاستَخرَجتُ كلّ يتيمَةِ

لأسْمَعَ أفعالي بسَمْعِ بَصيرَةٍ ... وأشهَدَ أقوالي بعَينٍ سَميعَةِ

فإنْ ناحَ في الأيكِ الهَزارُ، وغرّدَتْ ... جواباً لهُ، الأطيارُ في كلّ دَوحَةِ[1]

وأطْرَبَ بالمِزمارِ مُصْلِحُهُ على ... مُناسَبَةِ الأوتارِ من يَدِ قَينَةِ

وغَنّتْ من الأشعارِ ما رَقّ فارتَقَتْ ... لسِدْرَتِها الأسرارُ في كلّ شَدْوَةِ

تَنَزّهتُ في آثارِ صُنْعي، مُنَزَّهاً ... عنِ الشّرْكِ، بالأغيارِ جَمعي وأُلفتي

فبي مَجلِسُ الأذكارِ سَمْعُ مُطالعٍ ... ولي حانَةُ الخمّارِ عَينُ طليعَةِ

وما عَقَدَ الزُّنّارَ، حُكماً، سوى يدي ... وإنْ حُلّ بالإقرارِ بي، فهْيَ حَلّتِ

وإن نارَ، بالتّنزيلِ، مِحرابُ مَسجدٍ ... فما بارَ، بالإنجيلِ، هيكلُ بِيعَةِ[2]

وأسفارُ تَوراةِ الكَليمِ لِقَومِهِ ... يُناجي بها الأحْبارُ في كُلّ ليلَةِ

وإن خَرّ للأحجارِ، في البُدّ، عاكِفٌ، ... فلا وجْهَ للإنكارِ بالعَصَبيّةِ

فقد عَبدَ الدّينارَ، مَعنًى، مُنَزَّهٌ ... عَنِ العارِ بالإشراكِ بالوَثَنيّةِ

وقد بلّغَ الإنذارَ عني مَن بَغى ... وقامَتْ بيَ الأعذارُ في كلّ فِرْقَةِ

وما زاغَتِ الأبصارُ مِنْ كلّ مِلّةٍ ... وما راغَتِ الأفكارُ مِن كلّ نِحلَةِ

وما اختارَ مَن للشّمسِ عَن غِرّةٍ صَبا ... وإشراقُها مِن نورِ إسْفارِ غُرّتي

(1) **الهزار**: نوع من الطير يضرب به المثل في حسن الصوت. **الدوحة**: الشجرة العظيمة.

(2) **بار**: هلك وباد. **البِيعة**: الكنيسة.

وإن عبدَ النّارَ المَجوسُ، وما انطفَتْ ... كما جاءَ في الأخبارِ في ألفِ حِجّةِ[1]

فما قَصَدوا غيري، وإن كان قصدُهم ... سِوايَ، وإن لم يُظهِروا عَقدَ نِيّةِ[2]

رأوْا ضَوْءَ نوري، مَرّةً، فَتَوَهّموهُ ناراً، فضَلّوا في الهُدَى بالأشعّةِ

ولَوْلا حِجابُ الكَوْنِ قُلتُ، وإنّما ... قِيامي بأحكامِ المَظاهِرِ مُسْكِتي

فلا عَبثٌ والخَلقُ لم يُخلَقوا سُدًى ... وإنْ لم تكُنْ أفْعالُهُمْ بالسّديدَةِ

على سِمَةِ الأسماءِ تَجري أمورُهمْ ... وحِكمةُ وصْفِ الذاتِ، للحكم، أجرَتِ

يُصَرِّفُهُمْ في القَبضَتَينِ، ولا ولا ... فقَبضَةُ تَنعيمٍ، وقَبْضَةُ شِقْوَةِ[3]

ألا هكذا، فلتَعرِفِ النّفسُ، أو فلا ... ويُتْلَ بها الفُرْقانُ كُلَّ صَبيحَةِ

وعِرفانُها مِن نَفسِها، وهِيَ التي ... على الحِسّ، ما أمْلَتْ منيَ، أمْلَتِ

ولو أنّني وَحّدْتُ، ألحدتُ، وانسَلختُ مِن آيِ جَمعي، مُشرِكاً بيَ صَنعَتي

ولستُ مَلوماً أنْ أبُثَّ مَواهبي ... وأمْنَحَ أتْباعي جَزيلَ عَطِيّتي

ولي مِن مُفيضِ الجَمعِ، عندَ سلامِه ... عَليّ بأوْ، أدْنى إشارَةِ نِسْبَةِ

ومِن نُورِهِ مِشكاةُ ذاتيَ أشرَقَتْ ... عليّ فنارَتْ بي عِشائي، كَضَحوَتي

فأُشْهِدْتُني كَوْني هناك، فكُنتُهُ ... وشاهَدتُهُ إيّايَ، والنّورُ بَهجتي

فَبي قُدّس الوادي، وفيه خلعتُ خَلْعَ نَعْلي على النّادي، وجُدتُ بخلعتي

وآنَستُ أنْواري، فكُنتُ لها هُدًى ... وناهيكَ من نَفْسٍ علَيها مُضيئَةِ

---

(1) **حجة**: سنة.

(2) **عقد نية**: التصميم على أمر.

(3) **ولا**: مركبة من واو العطف، ولا النافية. والثانية مخففة عن ولاء؛ أي الموالاة والنصرة.

وأسَستُ أطواري، فناجَيتُني بها وقَضَيْتُ أوْطاري، وذاتي كَليمَتي[1]

وبَدريَ لم أُفلْ، وشَمْسِيَ لم تَغِبْ وبي تَهتَدي كُلّ الدّراري المُنيرَةِ

وأنْجُمُ أفلاكي جرَتْ عن تَصَرّفي بمِلكي، وأملاكي، لمُلْكيَ، خَرّتِ[2]

وفي عالَمِ التّذكارِ للنّفسِ عِلْمُها الـ مُقَدَّمُ، تَسْتَهديهِ، منيَ فِتيَتي

فَحيَّ على جَمْعي القَديمِ، الذي به وجَدْتُ كُهُولَ الحَيّ أطفالَ صِبيَةِ

ومن فضْلِ ما أسأرْتُ شربُ مُعاصري ومَن كانَ قَبْلي، فالفَضائلُ فَضْلَتي[3]

---

(1) **أطواري**: اصطلاح لدى الصوفية؛ وهي عندهم سبعة؛ النفس والقلب والطبع والروح والخفي والأخفى والسر. **الأوطار**: جمع وطر للمنى والحاجة.

(2) **الأملاك**: جمع ملك، بفتحتين. **خرت**: سجدت.

(3) **الفضل**: ما فَضَل من الإناء أو غيره؛ وهو ما بقي منه. **أسأرت**: من السؤر، بالضم؛ بقية ما في الإناء من الشراب. **معاصري**: الذي في عصري. **الفضلة**: البقية.